# أسنى المطالب فى نجاة أبى طالب


تأليف

القطب الربانى الجامع بين الشريعة و الحقيقة

مولانا الهاشمى

**السيد أحمد بن السيد زينى دحلان**

شيخ العلماء الاعلام ببلد الله الحرام



الطبعة الأولى



حقوق الطبع محفوظة



الناشر

دار كنز السعادة

١ درب الأتراك - الأزهر

ت : ٣٩٥٣٦٩٧


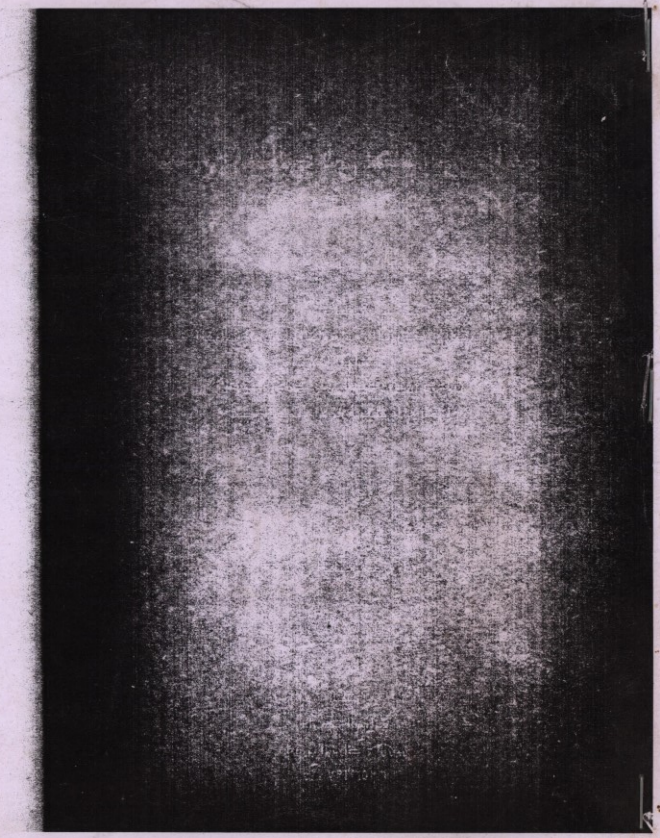

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعـد ..

فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المرتجى من ربه الغفران أحمد بن زينى دحلان قد وقفت على تأليف جليل للعلامة النبيل مولانا السيد محمد بن رسول البرزنجى المتوفى سنة ألف ومائة وثلاثة فى نجاة أبوى النبى ﷺ وذيله فى آخره بخاتمه فى نجاة أبى طالب عم النبى ﷺ وأثبت نجاته وأقام أدلة على ذلك وبراهين من الكتاب والسنة وأقوال العلماء يحصل لمن تأملها أنه ناج بيقين مع بيان معان صحيحة للنصوص التى تقتضى خلاف ذلك حتى صارت جميع النصوص صريحة فى نجاته وسلك فى ذلك مسلكا ماسبقه اليه أحد بحيث ينقاد لادلته كل من أنكر نجاته وجحد وكل دليل استدل به القائلون بعدم نجاته قلبه عليهم وجعله دليلا لنجاته وتتبع كل شبهة تمسك بها القائلون بعدم النجاة وأزال ما اشتبه عليهم بسببها وأقام دليلا على دعواه وكان فى بعض تلك المباحث مواضع دقيقة لايفهمها إلا الفحول من العلماء ويعسر فهمها على القاصرين من طلبة العلم وبعض تلك المباحث زائدة عن إثبات المطلوب ذكرها تقوية لما أثبته وكشف الحجاب كل محجوب فأردت أن ألخص فى هذه الوريقات المقاصد التى أثبت بها نجاة أبى طالب ليكون من عرفها فى كل محفل هو الغالب واجتهدت فى تسهيل عبارات تلك المباحث الدقيقة حسب الإمكان وحذفت ما كان زائداً عما هو المقصود بالبيان وزدت

كلاما يتعلق بذلك وجدته فى المواهب اللدنية والسيرة الحلبية له مناسبة لهذه القضية فجاء الجميع وافيا بتحصيل المراد نافعا إن شاء الله كل من وقف عليه من العباد وسميت هذا المؤلف (**أسنى المطالب فى نجاة أبى طالب**) وأسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق والإخلاص والقبول وحسن الختام بجاه سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام ( فأقول ) إن العلامة البرزنجى أثبت أولا حصول الإيمان لأبى طالب بالحجج والبراهين ثم أثبت له النجاة وخرج ذلك على أرجح الأقوال عند المحققين ، أما إثبات الإيمان فأنه يتوقف أولا على معرفته معنى الإيمان ومعناه شرعا التصديق القلبى بوحدانية الله تعالى ورسالة النبى ﷺ والتصديق بكل ما جاء به عن الله تعالى وأما الإسلام شرعا فهو الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية ويدل لهذا قوله ﷺ الإسلام علانية والإيمان فى القلب فقد يجتمعان وذلك فى المصدق بقلبه المقر بالشهادتين وينفرد الإسلام عن الإيمان فى المنافق الذى ينطق بالشهادتين وينقاد لأحكام الإسلام ظاهراً وهو بقلبه مكذب غير مصدق وينفرد الإيمان عن الإسلام فيمن يصدق بقلبه ولا ينطق بالشهادتين عنادا ولا ينقاد للأفعال الظاهرة الشرعية وذلك ككثير من علماء اليهود الذين عرفوا أن سيدنا محمدا ﷺ رسول صادق ولم ينطقوا بالشهادتين ولم يتبعوه ولم ينقادوا لما جاء به وقد قال الله تعالى فيهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فهم لم يقروا برسالته عناداً ويعتقدون فى قلوبهم صدقه فى دعوى الرسالة فهؤلاء مؤمنون به فى الباطن مكذبون به فى الظاهر عناداً فلا ينفعهم الإيمان الباطنى حيث كان تكذيبهم الظاهرى عناداً وأما إذا كان عدم الانقياد الظاهرى وعدم النطق بالشهادتين لعذر لا لعناد فإن الإيمان الباطنى ينفع صاحبه باطنا عند الله فى الدار الآخرة ولكنه فى الظاهر يعامل معاملة الكفار فيقال إنه كافر بحسب أحكام الدنيا والعذر الذى يمنع من الانقياد فى الظاهر له أسباب منها الخوف من ظالم بان خاف إن أظهر إسلامه وانقياده أن يقتله أو يؤذيه أذى لايحتمل أو



يؤذى أحداً من أولاده أو أقاربه فهذا يجوز له إخفاء إسلامه بل لوأكرهه الظالم على التلفظ بالكفر فإنه يجوز له أن يتلفظ به وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذا بقوله إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ومن هذا القبيل امتناع أبى طالب من الانقياد فى الظاهر خوفا على ابن أخيه وهو سيدنا محمد ﷺ فإنه كان يحميه وينصره ويدفع عنه كل أذى ليبلغ رسالة ربه وكان كفار قريش يمتنعون من إيذاء النبى ﷺ رعاية لأبى طالب ولحمايته وكانت رياسة قريش بعد عبد المطلب لأبى طالب فكان أمره عليهم نافذاً وحمايته عندهم مقبولة لعلمهم بأن أبا طالب على ملتهم ودينهم ولو علموا أنه أسلم وتبع النبى ﷺ فإنهم لايقبلون حمايته ونصره بل كانوا يقاتلونه ويؤذونه ويفعلون معه من الأذى أكثر مما يفعلونه بالنبى ﷺ ولاشك أن هذا عذر قوى لأبى طالب مانع من إظهار الانقياد الظاهر والاتباع للنبى ﷺ فلهذا كان يظهر لهم أنه على دينهم وملتهم وأنه إنما يدفع عن النبى ﷺ لأجل القرابة التى بينه وبينهم وكانوا يعتقدون أنه يحميه وينصره للحمية لا للاتباع فى الدين بل للحمية التى كانت مشهورة بين العرب وقد كان فى الباطن قلبه مملؤا بتصديقه ﷺ لما شاهده من المعجزات كما سيأتى إيضاح ذلك كله وكان يأتى فى الظاهر بألفاظ تدل على ذلك وبألفاظ أخرى يوهم بها على الكفار أنه على دينهم وليس متابعا للنبى ﷺ ليدفع بها عن نفسه الشبهة والتهمة من أنه متبع للنبى ﷺ لينفذوا حمايته ونصره ( ثم ذكر البرزنجى ) اختلاف العلماء فى النطق بالشهادتين هل هو شطر أى جزء من مسمى الإيمان أو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية فيترتب على كونه شطراً أى جزء إن تارك ذلك مع القدرة يكون كافراً مخلداً فى النار وعلى كونه شرطاً لإجراء الأحكام الدنيوية يكون غير مخلد فقال قال السفاقسى فى شرح التمهيدان كون الإيمان هو التصديق فقط هو الرواية الصحيحة عن الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ( وقال ) العلامة العينى فى شرح

البخارى أن الإقرار باللسان شرط لإجراء الأحكام حتى أن من صدق الرسول فى جميع ماجاء به فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى وإن لم يقر بلسان (وقال حافظ الدين النسفى ) إن ذلك هو المروى عن أبى حنيفة وإليه ذهب الإمام

أبو الحسن الأشعرى فى أصح الروايتين عنه وهو قول أبى منصور الماتريدى .

( وقال ) الإمام عضد الدين فى المواقف الإيمان عندنا هو التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة ( قال ) شارحه السيد الشريف يعنى بقوله عندنا اتباع الإمام أبى الحسن الأشعرى وقد قرر الغزالى رحمه الله هذا المذهب فى إحياء علوم الدين وأطال فيه وهو قول إمام الحرمين وقول الأشاعرة وقول القاضى الباقلانى والأستاذ أبى إسحق الاسفرايني ونسبه التفتازانى إلى جمهور المحققين واستدل له بالأحاديث منها قوله ﷺ من علم أن الله ربه وإنى نبيه صادقا عن قلبه حرم الله لحمه على النار، رواه الطبرانى إلكبير عن عمران ابن حصين ( وروى ) البخارى ومسلم عن عثمان بن عفان أن رسول الله ﷺ قال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة ( وروى ) الطبرانى عن سلمة ابن نعيم الأشجعى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من لقى الله لايشرك به شيئا دخل الجنة قال قلت يارسول الله وإن زنى وإن سرق قال : وإن زنى وإن سرق ( قال ) وفى أحاديث الشفاعة من هذا شيء كثير حتى يقال له ﷺ أخرج من النار فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة خردل من إيمان بتكرير أدنى ثلاث مرات ( وعقد البرزنجى ) فصلا مستقلا ذكر فيه كثيراً من تلك الأحاديث وكلها دالة على أن من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من إيمان لايخلد فى النار( ونقل ) التفتازانى فى شرح المقاصد والكمال بن الهمام فى المسايرة وابن حجر فى شرح الأربعين إن شرط النجاة فى الآخرة إذا لم يطالب به أى النطق بالشهادتين فإذا طولب به وامتنع عناداً وكراهة للإسلام أى امتنع



امتناعا على وجه الآباء عن الإسلام والكراهية والعناد فلا ينجو ويفهم من هذا القيد أنه لو ترك النطق بعد المطالبة لا إباء عنه ولاعنادا بل لعذر صحيح وقلبه مطمئن بالإيمان أنه لايكون كافراً فيما بينه وبين الله تعالى بل لو تكلم بالكفر والحالة هذه لايضره قال تعالى إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان فهذه النصوص كلها تدل على أن الإيمان هو التصديق فقط ويقابلها القول بأن التصديق وحده لايكفى بل لابد من النطق باللسان مع التصديق فمن لم ينطق مع قدرته كان مخلدا فى النار وقال بهذا كثيرون ( ونقل ) النووى فى شرح مسلم اتفاق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على هذا القول واعترضوا عليه فى حكاية الاتفاق ( قال ابن حجر ) فى شرح الأربعين أن لكل من الأئمة الأربعة قولا بأنه مؤمن عاص بترك التلفظ بل الذى عليه جمهور الأشاعرة وبعض محققى الحنفية كما قال المحقق الكمال بن الهمام وغيره أن الإقرار باللسان إنما هو شرط لإجراء أحكام الدنيا فحسب انتهى ، ثم ذكر اختلاف العلماء فى أنه هل يشترط لفظ الشهادتين بلفظهما المعروف أو يكفى الإتيان بغير المعروف مما يدل على الإيمان وذكر فيه قولين للعلماء فقيل إنه يشترط اللفظ المعروف ولا يكفى غيره والراجح أنه لايشترط خصوص اللفظ المعروف وأن الإيمان ينعقد بغير اللفظ المعروف ( وعبارة البرزنجى ) ثم ليعلم أن المراد بالنطق بالشهادتين ليس النطق بخصوصهما خلافا للغزالى كما ذكر ذلك النووى فى الروضة ونسبه إلى الجميع فنقل عن الحليمى فى منهاجه أنه لاخلاف أن الإيمان ينعقد بغير القول المعروف وهو كلمة لا إله إلا الله حتى لو قال لا إله غير الله أو ماعدا الله أو سوى الله أومن إله إلا الله أو لا إله إلا الرحمن أولا رحمن إلا الله أو إلا البارى فهو كقوله لا إله إلا الله وكذا لو قال محمد نبى الله أومبعوثه أو أحمد أو الماحى أوغير ذلك أو مايؤدى ذلك باللغات العجمية صح إسلامه وحكم بكونه مسلما ( ثم قال البرزنجى ) إذا علمت ذلك فنقول تواترت

الأخبار أن أبا طالب كان يحب النبى ﷺ ويحوطه وينصره ويعينه على تبليغ دينه ويصدقه فيما يقوله ويأمر أولاده كجعفر وعلى باتباعه ونصره وكان يمدحه فى أشعاره بما يدل على تصديقه وكان ينطق بأن دينه حق فمن كلامه المعروف

ولقد علمت بأن دين محمد  من خير أديان البرية دينا

ومن شعره قوله :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا  رسولا كموسى صح ذلك فى الكتب

وقد أوصى قريشا باتباعه وقال والله لكأنى به وقد غلب ودانت له العرب والعجم فلا يسبقنكم إليه سائر العرب فيكونوا أسعد به منكم وهذه الوصية تكررت منه مرارا تارة يوصى بها بنى هاشم وتارة يوصى بها كافة قريش وأوصى قريشا عند قرب موته بوصية طويلة ولفظها يامعشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وأنتم قلب العرب وفيكم السيد المطاع والمقدام الشجاع والواسع الباع واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا إلا أحرزتموه ولاشرفا إلا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم الرب وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية يعنى الكعبة فإن فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة وصلوا أرحامكم فإن صلة الرحم منسأة أى فسحة فى الأجل وزيادة فى العدد وأتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم وأجيبوا داعى الله واعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وأوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من



الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها يامعشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة وفى رواية دونكم وابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لايسلك أحد سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد ولو كان لنفسى مدة ولأجلى تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهى ( فانظر واعتبر ) أيها الواقف على هذه الوصية كيف وقع جميع ماقاله أبو طالب بطريق الفراسة الصادقة الدالة على تصديقه النبى ﷺ .

(وقال لهم مرة ) لن تزالوا بخير ماسمعتم من محمد وما اتبعتم أمره .فأطيعوه ترشدوا ( وقد نوه ) أبو طالب بنبوة النبى قبل أن يبعث ﷺ لأنه ذكر ذلك فى الخطبة التى خطب بها حين تزوج ﷺ بخديجة رضى الله عنها فقال فى خطبته تلك الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسمعيل وضئضىء معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لايوزن برجل الأرجح شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وهو و الله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جسم وكان هذا قبل بعثته صلى الله عليه وسلم بخمس عشرة سنة ( فانظر) كيف تغرس فيه أبو طالب كل خير قبل بعثته ﷺ فكان الأمر كما قال وذلك من أقوى الدلائل على إيمانه وتصديقه بالنبى ﷺ حين بعثه الله تعالى .

( وروى ) البخارى فى تاريخه عن عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه أن قريشا قالت لأبى طالب رضى الله عنه أن قريشا قالت لأبى طالب إن ابن أخيك هذا قد آذانا فقال للنبى ﷺإن بنى عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم فقال لو وضعتم الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته ثم استعبر رسول الله ﷺ باكيا فقال أبو طالب

يا ابن أخى قل ما أحببت فوالله لا أسلمك لهم أبدا وقال لقريش والله ما كذب ابن أخى قط ( فانظر ) إلى نفى الكذب عنه بالحلف بحضور خصمائه قريش وقد جاؤه يشكون إليه ( وانظر ) إلى قوله زعموا أنك تؤذيهم حيث لم يطلق القول بأنه يؤذيهم بل جعل ذلك أذى باعتبار زعمهم وأنهم يزعمون أنه من قبل نفسه وليس من عند الله فقال إن كان أذى أى كما زعموا فانته عن أذاهم فلما قال له إنه من عند الله بيقين كما أنكم على يقين من رؤية هذه الشمس صدقه ونفى عنه الكذب وقال والله ما كذب ابن أخى قط ( وقد ) روى أبو طالب أحاديث عن النبى ﷺ وكلمات تدل على إيمانه وامتلاء قلبه من التوحيد ( فمن ذلك ) ما رواه الخطيب البغدادى بإسناده إلى جعفر الصادق عن أبيه محمدا الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه على بن أبى طالب قال سمعت أبا طالب يقول حدثنى محمدا بن أخى وكان والله صدوقا قال قلت له بم بعثت يامحمد قال بصلة الأرحام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والمراد من الصلاة ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها كانتا فى أوائل الإسلام أو المراد صلاة التهجد فإنه ﷺ كان يفعله من أول بعثته ولايصح حمل الصلاة على الصلوات الخمس لأنها إنما فرضت ليلة الإسراء وكان ذلك بعد موت أبى طالب بنحو سنة ونصف وكان موت أبى طالب فى النصف من شوال فى السنة العاشرة من البعثة وعمره بضع وثمانون سنة والمراد من الزكاة مطلق الصدقة وإكرام الضيف وحمل الكل ونحو ذلك من الصدقات المالية ومثل هذه الأشياء كان أبو طالب أسها ومعدنها وليس المراد الزكاة الشرعية المعروفة ولازكاة الفطر لأن ذلك إنما فرض بعد الهجرة فى المدينة وكل ذلك كان بعد موت أبى طالب (وأخرج ) الخطيب أيضا بسنده إلى أبى رافع مولى أم هانىء بنت أبى طالب أنه سمع أبا طالب يقول حدثنى محمدا بن أخى أن الله أمره بصلة الأرحام وأن يعبد الله لا يعبد معه أحدا قال ومحمد عندى الصدوق الأمين



( وقال ) أيضا سمعت ابن أخى يقول أشكر ترزق ولاتكفر تعذب (وأخرج ) ابن سعد والخطيب وابن عساكر عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال كنت بذى المجاز مع ابن أخى فأدركنى العطش فشكوت إليه ولا أرى عنده شيئا قال فثنى وركه ثم نزل فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء فقال اشرب ياعم فشربت ( قال البرزنجى ) فلو لم يكن موحدا لما رزقه الله الماء الذى نبع للنبى ﷺ الذى هو أفضل من ماء الكوثر ومن ماء زمزم ( وقال البرزنجى ) الذى يرى مثل هذه المعجزة كيف لايقع التصديق فى قلبه وقد كثرت القرائن الدالة على التصديق ( وأخرج ) ابن عدى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال مرض أبو طالب فعاده النبى ﷺ فقال يا ابن أخى ادع الله أن يعافينى فقال اللهم اشف عمى فقام كأنما نشط من عقال ( وأخرج ) أبو نعيم من طريق أبى بكر ابن عبد الله بن الجهم عن أبيه عن جده قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب إنه رأى فى منامه أن شجرة نبتت من ظهره قد نال رأسها السماء وضربت أغصانها المشرق والمغرب قال ومارأيت نورا أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفا ورأيت العرب والعجم ساجدين وهى تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ساعة تخفى وساعة تظهر ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها وقوما من قريش يريدون قطعها فإذا دنوا منها أخذهم شاب لم أرقط أحسن منه وجها ولا أطيب ريحا فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم فرفعت يدى لأتناول نصيبا فلم أنل فقلت لمن النصيب فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها فانتبهت مذعورا فأتيت كاهنة لقريش فأخبرتها فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس فقال عبد المطلب لأبى طالب لعلك أن تكون هو المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبى ﷺ قد بعث ويقول كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين فيقال له ألا تؤمن فيقول السبة والعار وإنما كان يقول ذلك

تعمية وتسترا وإظهارا لقريش إنه على دينهم ليتم له نصرة النبى ﷺ وحمايته لأنهم حيث علموا أنه معهم وعلى دينهم يقبلون حمايته بخلاف ما لو أظهر لهم مخالفتهم واتباعه النبى ﷺ فهذا هو العذر له فى قوله السبة والعار وفى بقائه ظاهرا على دينهم ( وأخرج ) ابن سعيد عن عبد الله بن ثعلب بن صغير العذرى إن أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بنى عبد المطلب فقال لن تزالوا بخير ماسمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه ترشدوا ( قال البرزنجى ) قلت بعيد جدا أن يعرف أن الرشاد في اتباعه ويأمر غيره ثم يتركه هو ( وروى ) الحافظ ابن حجر فى الإصابة عن على رضى الله عنه أنه لما أسلم قال له أبو طالب الزم ابن عمك ( وأخرج ) أيضا عن عمران بن حصين رضي الله عنهما إن أبا طالب قال لابنه جعفر صل جناح ابن عمك فصلى جعفر مع النبي ﷺ كما صلى على رضى الله عنه ( قال البرزنجى ) فلولا إنه مصدق بدينه لما رضى لابنيه أن يكونا معه وأن يصليا معه بل ولا كان يأمرهما بالصلاة فإن عداوة الدين أشد العداوات كما قيل :

كل العداوات قد ترجى أماتتها  إلاعداوة من عاداك فى الدين

فهذه الأخبار كلها صريحة فى أن قلبه طافح وممتلىء بالإيمان ﷺ ( ومن ذلك أيضا ) إن أبا طالب سافر إلى الشام وكان عمر النبى ﷺ إذ ذاك تسع سنين فصحبه معه فرآه بخير الراهب بفتح الباء ورأى فيه علامات النبوة فأخبر عمه أبا طالب وأمره بارجاعه إلى مكة مخافة عليه من اليهود فرده إلى مكة ( ومن ذلك ) أيضا ماشاهده أبو طالب فى زمن عبد المطلب من استسقائه بالنبى ﷺ فقد روى الخطابى أن قريشا تتابعت عليهم سنوجدب فى حياة عبد المطلب فارتقى هو ومن حضر معه من قريش أبا قبيس بعد ان استلموا ركن البيت فقام عبد المطلب واعتضد النبى ﷺ فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام ثم دعا فسقوا فى الحال ( واستسقى ) به أبو طالب أيضا بعد وفاة



عبد المطلب حين أصاب أهل مكة قحط شديد فأتوا أبا طالب فقالوا له قد أقحط الوادى وأجدب العيال فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه النبى ﷺ وهو غلام فأخذه أبو طالب فألصقه بالكعبة ولاذ الغلام أى أشار بإصبعيه إلى السماء كالملتجىء وما فى السماء قزعة فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأمطرت السماء واغدودق الوادى وكثر قطره وأخصب النادى والبادى وفى هذه يقول أبو طالب بعد بعثة النبى ﷺ يذكر قريشا يده ﷺ وبركته عليهم من صغره ٠

وابيض يستسقى الغمام بوجهه  ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم  فهو عنده فى نعمة وفواضل

فهذه الآثار والأخبار كلها صريحة فى أن أبا طالب رأى من الآيات ٠والمعجزات وخوارق العادات التى ظهرت للنبى ﷺ ما أوجب أن يصدقه ويؤمن به إيمانا لاشك فيه ولاتردد ( ورأى ) أبو طالب أيضا للنبى ﷺ آيات وخوارق عادات فى صغره غير هذه وذلك أن أبا طالب كان قليل المال وكان ذا عيال فكان عياله إذا أكلوا وحدهم جميعا أوفرادى لم يشبعوا وإذا أكل معهم النبى ﷺ شبعوا فكان أبو طالب إذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم أنتم كما أنتم حتى يأتى ابنى فيأتى رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيشبعون فيفضلون من طعامهم وإذا كان طعامهم لبنا شرب رسول الله ﷺ أولهم ثم تناول العيال القعب أى القدح من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم أى جميعهم من القعب وإن كان أحدهم وحده يشرب قعباً واحداً وحده فيقول أبو طالب للنبى ﷺ إنك لمبارك ( وأخرج ) أبو نعيم وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان أبو طالب يحب النبى ﷺ حباً شديداً لايحب أولاده مثله ولذا الأينام إلاجنبه ويخرجه معه حين يخرج ( وكان ) النبى ﷺ يحب أيضا أبا طالب حباً شديداً إلا يأوى إلا إليه ولا يطمئن قلبه إلا باتصاله به وكان ﷺ يقول لما مات أبو طالب نالت قريش

منى من الأذى ما لم تكن تطمع فيه حياة أبى طالب ( وقال أيضا ) ماتالت قريش منى شيئا أكره حتى مات أبو طالب ولما رأى قريشا تهجموا على أذيته قال ياعم ما أسرع ما وجدت ببعدك ومات أبو طالب وخديجة فى عام واحد فكان رسول الله ﷺ يسمى ذلك العام عام الحزن ( ولما ) ظهر أمر النبى ﷺ وصار يدخل فى دينه كثير من الناس اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله ﷺ وقالوا قد أفسد علينا أبناءنا ونساءنا وقالوا لبنى هاشم خذوا هذه دية مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتريحونا وتريحوا أنفسكم فأبى بنو هاشم فعند ذلك اجتمع رأى قريش على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب وإخراجهم إلى شعب أبى طالب والتضييق عليهم بالمنع من حضور الأسواق وأن لاينا كحوهم وأن لا يقبلوا لهم صلحا أبداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة وقيل إن أبا طالب لما رأى اجتماع قريش على قتل النبى ﷺ جمع بنى هاشم وبنى المطلب مؤمنهم وكافرهم وأمرهم أن يدخلوا برسول الله ﷺ الشعب ويمنعوه ففعلوا ولم يتخلف عنهم إلا أبو لهب فلما علمت قريش ذلك أجمع رأيهم على أن يكتبوا عهودا ومواثيق على أن لايجالسوهم ولاينا كحوهم ولايقبلوا لهم صلحا أبداً وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة ومكث بنو هاشم فى الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين وأصابهم ضيق شديد حتى أكلوا ورق الشجر يتقوتون به وكان أبو طالب فى تلك المدة يتحفظ غاية التحفظ على النبى ﷺ حتى أنه إذا جاء الليل وأراد النبى ﷺ أن ينام يفرش له فراشه فى الموضع الذى يعتاد أن ينام فيه فيضطجع فيه النبى ﷺ ثم يقيمه عمه عن فراشه المعتاد ويأمر بعض بنيه أن ينام فى ذلك الموضع ويفرش للنبى ﷺ فى موضع آخر غير معتاد نومه فيدعه ينام فيه كل ذلك مبالغة فى حفظه وحراسته والذى كتب الصحيفة لقريش شلت يده وأوحى الله تعالى للنبى ﷺ أنه سبحانه وتعالى سلط الأرضة على صحيفتهم التى كتبوها وعلقوها



فى الكعبة فأكلت مافيها من عهد وميثاق وقطيعة رحم ولم يبق فى الصحيفة غير اسم الله عز وجل فإنهم كانوا يكتبون باسمك اللهم فأخبر النبى ﷺ عمه أبا طالب بذلك فخرج من الشعب حتى أتى المسجد فاجتمع عليه قريش وظنوا أنه يريد أن يسلمهم النبى ﷺ ليقتلوه فقالوا له توبيخا له ولمن معه قد آن لكم إن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم فقال أبو طالب إنما أتيتكم فى أمر نصف بيننا وبينكم أى أمر وسط لاحيف فيه علينا ولاعليكم أن ابن أخى أخبرنى ولم يكذبنى قط أن الله تعالى قد سلط على صحيفتكم التى كتبتم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من جور أوظلم أوقطيعة رحم وبقى بها كل ماذكر به الله تعالى فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا فى رواية نزعتم أى رجعتم عن سوء رأيكم وإن لم ترجعوا فوالله لانسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان الذى يقول باطلا دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم فقالوا قد رضينا بالذى تقول وفى رواية أنصفتنا فاخرجوا الصحيفة فوجدوا الأمر كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ فلما رأت قريش صدق ماجاء به أبو طالب قالوا أى قال أكثرهم هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا وبعضهم ندم وقال هذا بغى منا على إخواننا وظلم فقال لهم أبو طالب بعد أن وجد الأمر كما أخبر ﷺ يامعشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين إنكم أولى بالظلم والإساءة والقطيعة ودخل أبو طالب ومن معه تحت أستار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل مايحرم عليه منا ثم انصرفوا إلى الشعب وعند ذلك مشى طائفة منهم فى نقض الصحيفة وإبطال ذلك الحصار والكلام على ذلك طويل وإنما القصد بيان أن أبا طالب أطلعه الله على كثير مما خص الله نبيه به من الآيات والمعجزات وخوارق العادات من مبتدأ أمره ﷺ وهو صغير إلى منتهاه وباطلاعه على تلك الآيات والمعجزات صار قلبه مشحونا ممتلئا بالإيمان والتصديق بالنبى ﷺ إيمانا قطعيا لاشك فيه ولاشبهة ولم يظهر

ذلك الإيمـان ويتابعه ظاهرا مبالغة فى حفظ النبى ﷺ وحمـايته وصيانته عمـا يؤذيه فـكان يظهر لقريش أنه على ملتهم ودينهم فلا يستطيعون مخالفته فمن عرف ذلك وقف علي باطن الامر وحقيقته لم يشك فى إيمـان أبى طالب فـكان فى نصرة النبى ﷺ يخادع قريشا مخادعة الحرب حتى تم أمر النبى ﷺ وفشت دعوته وقد صرح بالتصديق بنبوة النبى ﷺ فى كثير من أشعاره وكان فى بعض تلك الأشعار يأتى بألفاظ توهم على قريش أنه معهم وأنه على ملتهم كل ذلك مخادعة لهم للمبالغة فى حفظ النبى ﷺ وحمـايته فمن أشعاره التى دلت على تصديقه بنبوة النبى ﷺ ما تقدم من قوله:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمـــــدا رسولا كموسى صح ذلك فى الكتب

وهـذا البيت من قصـيدة طويلة لأبى طالب قالها فى زمن محاصرة قريش لهـم فى الشعب وهى قصيدة طويلةبليغة غراء تدل على غاية محبته للنبى ﷺ وعلى التصديق بنبوته وشدة حمـايته له والذب عنه ومطلعهـا :

ألا بلغا عنى علـــى ذات بيننـا لؤيا وخصا من لؤى بنى كعـــب

ألم تعلموا إنـــا وجدنـا محمـدا رسولا كموسى صح ذلك فى الكتب

ويروى نبيا كموسى خط ذلك فى الـكتب

وإن عليـه فـى العبـاد مودة ولاخير ممن خصه الله بالحب

ومنها :

فلسنا ورب البيت نسلـــم أحمدا لعزاء من عض الزمان ولا كرب

ومن شعره قوله:

وشـــق لـه من اسمـه ليجلـه فذو العرش محمود وهذا محمد

هكذا نسب الحافظ بن حجر فى الإصابة هذا البيت لأبى طالب وقيل إنه



لحسان بن ثابت الأنصارى .

قال البرزنجى ولامانع ان يكون لابى طالب وأخذه حسان فضمنه شعره واجتمع مرة كفار قريش وجاؤا ابا طالب ومعهم عمـارة بن الوليد بن المغيرة وكان من أحسن فتيان قريش وقالوا لابى طالب خذ هذا بدل محمد يكون كالابن لك وأعطنا محمدا نقتله فقال ماأنصفتمونى يامعشر قريش آخذ ابنكم أربيه وأعطيكم ابنى تقتلونه ثم قال :

والله لن يصـلوا اليـك بجمـــعهم حتى أوسد فى التراب دفيـــنـــا

فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة وابشـــر بذاك وقر مـــنك عيونـا

ودعوتنـى وعلمـت انـك صـــادق ولقـد صـدقـت وكنـت ثم أمينا

ولقـد علمـت بـأن ديـن محمـد مـن خيـر أديـان البريـة دينـا

وزاد بعضهم بعد هذا :

لـولا المسبـة أوحـذار مـلامـة لـوجدتنـى سمحا بذاك مبينا

فقيل إن هذا البيت موضوع أدخلوه فى شعر أبى طالب وليس من كلامه وقيل أنه من كلامه وأتى به للتعمية على قريش ليوهم عليهم أنه معهم وعلى ملتهم ولم يتابع محمدا ليقبلوا حمايته ويمتثلوا أمره ومن شعره قوله فى النبى ﷺ

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتـامى عصمة للأرامل

يلوذ بـه الهـلاك مـن آل هاشـــم فهم عنده فى رحمة وفواضـل

وهذان البيتان من قصيدة طويلة لابى طالب قيل إنها ثمانون بيتا أفرد لها بعض العلماء شرحا مستقلا وقيل انها تزيد على مائة بيت قالها أبو طالب حين حصر قريش لهم فى الشعب وأخبر قريشا أنه غير مسلم محمدا رسول الله ﷺ لأحد .

أبدا حتى يهلك دونه ومدحه فيها مدحا بليغا وأتى فيها بكلام صريح فى أنه مصدق بنبوته ومؤمن به فمنها البيتان السابقان ومنها قوله

لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد  وأحببته حب المحب المواصل
وقد علموا أن ابننا لا مكذب  لدينا ولايعزى لقول الاباطل
فمن مثله فى الناس أى مؤمل  إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش  يوالى الهاليس عنه بغافل
وأصبح فينا أحمد فى أرومة  تقصر عنها سورة المتطاول
حدبت بنفس دونه وحميته  ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

وفى القصيدة أبيات كثيرة مثل هذه فى المعنى والبلاغة . قال ابن كثير أن هذه القصيدة بليغة جدا لا يستطيع أن يقولها الامن نسبت إليه وهى أفحل من المعلقات السبع وأبلغ فى تأدية المعنى . وأخرج البيهقى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال جاء أعرابى إلى النبى ﷺ وشكا الجدب والقحط وأنشد أبياتا فقام رسول الله ﷺ حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ودعا فما رد يديه حتى التقت السماء بأبرقها ثم بعد ذلك جاؤا يضجون من كثرة المطر خوف الغرق فقال ﷺ اللهم حوالينا ولا علينا وضحك ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبى طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال على رضي الله عنه وكرم وجهه كأنك تريد قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه  ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال ﷺ أجل قال البرزنجى فقول النبى ﷺ لله در أبى طالب يشهد له بأنه لو رأى النبى ﷺ وهو يستسقى على المنبر لسره ذلك ولقرت عيناه فهذا من النبى ﷺ شهادة لابى طالب بعد موته أنه كان يفرح بكلمات النبى ﷺ وتقر عينه



بها وما ذلك إلا لسر وقر فى قلبه من تصديقه بنبوته وعلمه بكمالاته ثم قال البرزنجى فتأمل هذه المعانى الدقيقة ولاتكن ممن استحقرها لحقارة قائلها وفوق كل ذى علم عليم ومن غرر مدائح أبى طالب للنبى ﷺ الدالة على تصديقه اياه قوله :

إذا أجمعت يوما قريش لمفخر  فعبد مناف سرها وصميمها
فإن حصلت أنساب عبد منافها  ففى هاشم أشرافها وقديما
وإن فخرت يوما فإن محمدا  هو المصطفى من سرها وكريمها

وهذا موافق لقوله ﷺ واصطفانى من بنى هاشم قال البرزنجى وهذا نطق بالوحى قبل صدوره من النبى ﷺ فإنه ﷺ أخبر بذلك بعد مدة من قول أبى طالب والحديث وحى كالقرآن فثبت بهذه الأخبار والأشعار أن أبا طالب كان مصدقا بنبوة النبى ﷺ وذلك كاف فى نجاته ( قال القرافى ) فى شرح التنقيح عند قول أبى طالب :

وقد علموا أن ابننا لامكذب  لدينا ولايعزى لقول الأباطل

إن هذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان وإن أبا طالب ممن آمن بظاهره وباطنه غير إنه كفر ظاهرا ولم يذعن للفروع ( وكان ) يقول إنى لأعلم أن مايقول ابن أخى حق ولولا إنى أخاف أن تعيرنى نساء قريش لاتبعته اهـ (وأجيب )كما مر بأنه لم يذعن ظاهرا خوفا من أن قريشا لاتقبل حمايته (وقوله ) لولا إنى أخاف أن تعيرنى نساء قريش إنما قال ذلك تعمية على قريش ليوهم عليهم أنه على دينهم وهذا عذر صحيح بلغ به تمكين النبى ﷺ فى نبوته والدعوة إلى ربه ( وجاء ) فى صحيح مسلم أنه يقال للنبى ﷺ يوم القيامة أخرج من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فهذا الحديث وغيره مما يماثله من الأحاديث كلها تدل بظاهرها على أن النطق بالشهادتين ليس شرطا فى النجاة

بل ولا دخل له فيها وإلا لما كان قائلها نفاقا فى الدرك الاسفل من النار ثم ( قال البرزنجى ) وهذا الذى اخترناه من كون نجاة أبى طالب لما كان عنده من التصديق الكافى فى النجاة فى الآخرة هو طريق المتكلمين من أئمتنا الاشاعرة وهو مادلت عليه أحاديث الشفاعة وأحاديث الشفاعة كثيرة وكلها فيها التصريح بأنها لاتنال مشركا وقد نالت الشفاعة أبا طالب كما سيأتى بيانه فدل ذلك على عدم اشراكه ثم ذكر البرزنجى الدلائل التى تمسك بها القائلون بعدم نجاته وقلب استدلالهم بها على عدم النجاة وجعلها دالة على النجاة فمن ذلك مارواه البخارى ومسلم عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى ﷺ أنه قال لرسول الله ﷺ أن أبا طالب كان يحوطك أى يحفظك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك .

قال نعم وجدته فى غمرات من النار أى مشرفا عليها كما سيأتى تفسيره ( وفى رواية ) . وكان فى غمرات من النار أى مشرفا عليها فأخرجته إلى ضحضاح ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار و( الضحضاح ) مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين فاستعير للنار (وفى رواية )للبخارى ومسلم أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تناله شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منها دماغه (وروى مسلم ) وغيره عنه أنه ﷺ أن أبا طالب أهون أهل النار عذابا (قال) القائلون بعدم نجاته أن هذه الأحاديث الصحيحة دالة على كفره وعلى أنه فى النار فلا يمكن القول بنجاته لأن النبى ﷺ أخبر بحاله فيما بينه وبين الله فى الدار الآخرة فدل على أنه لم يكن مصدقا بقلبه وأما ماصدر منه من نصرة النبى ﷺ فإنما كان من باب حمية العرب والأنفة من أن يغتال ابنه من بين يديه وقد كلفه بذلك عبد المطلب ثم ( قال البرزنجى )قلت الجواب إن نفس الأحاديث التى ذكرت تدل على نجاته وذلك أن الله تعالى قد أخبر عن



الكفار بأنهم لايخفف عنهم من عذابها وبأنهم لايفتر عنهم وبأنهم ماهم منها بمخرجين وبأنهم لاتنفعهم شفاعة الشافعين إلى غير ذلك وقد ثبت فى الأثر الصحيح أن الجحيم هى الطبقة التى يعذب فيها عصاة المؤمنين ثم يخرجون منها وهى أعلى طبقات النار وعصاة المؤمنين عذابهم أخف من عذاب الكفار وحيث صح إن أبا طالب أهون أهل النار عذابا على الاطلاق فيكون أهون عذابا حتى من عصاة المؤمنين ولو لم نقل بذلك لما صدق قوله ﷺ إنه أهون أهل النار عذابا ولو فرض أنه كافر يخلد فى النار وهو أهون أهل النار عذابا لكان عذاب الكفر أهون من عذاب بعض المؤمنين العصاة وهذا لايقول به أحد فثبت أن عذابه أهون من عصاة المؤمنين وثبت أنه تنفعه شفاعة النبى ﷺ ولهذا خفف عنه العذاب وجعل أخف أهل النار عذابا فأخرج من طمطام النار وغمراتها أى أبعد عما كان مشرفا على دخوله لولا النبى ﷺ إلى ضحضاح منها وألبس نعلين من النار فصارت لاتغطى ظهور رجليه وهذه هى أعلى النار لا أعلى منها بحيث أن النار مامست إلا تحت قدميه وليس ذلك إلا فى الطبقة الفوقانية التى مكان عصاة هذه الأمة (وقد) صحت الأحاديث بأنهم يخرجون منها بحيث لايبقى فيها من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان (وقد) صح أيضا أن هذه الطبقة بعدما يخرج منها عصاة هذه الأمة تنطفى نارها وتصفق الريح أبوابها وينبت فيها الجرجير ولايجوز أن ينبت فيها الجرجير وفيها نار تمس تحت القدم فوجب أن يخرج منها أبو طالب بهذه الأدلة وكلها صحيحة ( ثم قال البرزنجى ) ونقول ورد فى الصحيح أنه ﷺ قال شفاعتى لأهل الكبائر (وفى لفظ ) لمن لم يشرك بالله شيئا واللام للاختصاص مثل الحمد لله ومعناه شفاعتى مختصة بأهل الكبائر وحيث كانت مختصة بأهل الكبائر فهى لاتكون لمشرك يعنى ان الشفاعة التى لغفران الذنوب تختص بأهل الكبائر فإن الصغائر يكفرها اجتناب الكبائر والكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين لأن الله لايغفر

أن يشرك به وإذا لم يغفر لم يدخل تحت الشفاعة لأن كل عذاب فى مقابلة ذنب ما لم يغفر ذلك الذنب لايرفع عنه العذاب الذى فى مقابلته وإذا لم يغفر الشرك صدق أن لاتنفعه شفاعة الشافعين والشافعين جمع محلى باللام فيفيد العموم لجميع الشافعين فتدخل شفاعته ﷺ فإنها لاتنفع الكافرين كما لاتنفعهم شفاعة غيره وأبو طالب قد نفعته شفاعة النبى ﷺ فخفف عنه العذاب وأخرج من غمرات النار إلى ضحضاح النار بشفاعة النبى ﷺ فوجب أن يكون من أهل الكبائر ماعدا الكفر ووجب أن يخرج من النار لأنه صار من عصاة الأمة الذين هم فى الطبقة العليا وكل من كان كذلك يخرج ويدخل الجنة وهذا معنى قوله ﷺ أرجو له من ربى كل خير وهذا الحديث أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سأل رسول الله ﷺ ماترجو لأبى طالب قال كل الخير أرجو من ربى ولايرجى كل الخير إلا لمؤمن ولايجوز أنه يراد بهذا ماحصل من تخفيف العذاب فإنه ليس خيرا فضلا عن أن يكون كل الخير وإنما هو تخفيف الشر وبعض الشر أهون من بعض والخير كل الخير دخول الجنة (وأخرج تمام الرازى) فى فوائده بسند يعتد به فى المناقب عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة شفعت لأبى وأمى وعمى أبى طالب وأخ لى كان فى الجاهلية أورده المحب الطبرى فى كتابه ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى وأخرجه أبو نعيم وصرح بأن الأخ كان من الرضاع ( قال البرزنجى ) أن النار اسم للطبقات كلها وقد أخبر ﷺ أن أبا طالب أخف أهل النار عذابا على الاطلاق وبين وجه ذلك بأن النار لاتمس إلا تحت قدميه فلا يجوز أن يكون كافراً لأن فى المؤمنين من صح الأخبار عنهم فى ذنب واحد من الغلول أوالعقوق أوتعذيب الهرة أو التبختر بعذاب أكبر من هذا (فقد )جاء فيمن غل من الغنيمة شملة صغيرة أنها تلتهب عليه ناراً (وفيمن) غل بردة من صوف أنه جعل له درع مثلها من نار وأن من جاء بريئا من الغلول دخل الجنة وجاء أن عقوق



الوالدين من أكبر الكبائر (وذكر) فى بعض الأحاديث بعد الشرك بالله وفى القرآن واعبدوا الله ولاتشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وصح ثلاثة لاينفع معهن عمل الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وصح أيضا لا ينظر الله يوم القيامة لعاق والديه (وصحت )أحاديث كثيرة فى شدة عذاب العاق لوالديه وأنه آخر من يخرج من النار من العصاة (وصح )دخلت امرأة النار فى هرة أى بسبب حبسها هرة وصحت أحاديث كثيرة فى النهى عن التبختر وشدة العذاب لمن تبختروا ولو كان أبو طالب كافرا لكان عذاب الكفر دون عذاب الكبائر مع أن عذاب الكفر دون عذاب الكفر فوق عذاب الكبائر قطعا وهذا لاشك فيه فإن الكفر أكبر الكبائر ولايغفر بخلاف بقية الكبائر ولو وجد مؤمن عاص أخف عذابا من أبى طالب لزم الخلف فى قول الصادق ﷺ حيث جعله أخف أهل النار عذابا على الاطلاق فوجب أن يكون عذابه كعذاب عصاة المؤمنين بل يكون أخف لعصاة عذابا وهذا العذاب فى مقابلة كبيرة هى ترك النطق بالشهادة إن قلنا أنه لم ينطق بها وأن ترك النطق بها معصية من كبائر المعاصى وإن عذره فى ترك النطق بها لا يمنع من صحة الإيمان لكنه لاينفى كون ذلك الترك معصية أو نطق بها ولم يسمعها النبى ﷺ فلم يعتد بها فكأنه ما نطق بها وذلك أن النبى ﷺ حضر أبا طالب عند الموت وعنده أبو جهل وعبد الله بن أمية المخزومى فقال له النبى ﷺ أى عم قل لا اله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية يا أبا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يردانه حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله وفى رواية فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله ﷺ على إيمانه قال يا ابن أخى لولا مخافة قريش إنى إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها وفى رواية لما تقارب من أبى طالب الموت نظر اليه العباس فرآه يحرك شفتيه فاصغى إليه بإذنه فسمع منه الشهادة فقال للنبى ﷺ يا ابن أخى والله لقد قال أخى الكلمة التى

أمرته بها ولم يصرح العباس بلفظ لا إله إلا الله لكونه لم يكن أسلم حينئذ فقال رسول الله ﷺ لم أسمع وهذا معنى قولهم أنه ﷺ لم يعتد بها فكانه لم ينطق بها والقائلون بعدم نجاته لم يأخذوا بهذا الحديث لكون العباس شهد بها حال كفره قبل أن يسلم وبعضهم ضعف هذا الحديث فعلى تسليم عدم الاعتداد بنطقه هذا وان الحديث ضعيف فنقول هو كافر باعتبار أحكام الدنيا وأما عند الله فهو مؤمن ناج ممتلىء قلبه إيمانا بدليل ماتقدم عنه مما يدل على ذلك أنه يمكن أن عدم نطقه بحضور أبى جهل وعبد الله بن أمية حرصا منه على بقاء الحفظ للنبى ﷺ وصيانته من أذيتهم له بعد وفاته لأنه كان يرى أنه إذا أظهر لهم أنه على دينهم تبقى حرمته وتعظيمه عندهم بعد وفاته فلا ينال النبى ﷺ منهم أذى وإذا كان هذا قصده كان معذورا فتكون إجابته لهما بما أجابهم به مداراة لهما لئلا ينفرهما خشية أن يؤذوا رسول الله ﷺ بعد وفاته على أنه يمكن الجمع بين امتناعه ونطقه بانه امتنع بحضورهما مداراة لهما فلما انطلقا وذهبا نطق بها وأصغى إليه العباس فسمعه ينطق بها ولهذا قال فى الحديث السابق ما كلمهم به يعنى أبا جهل ومن كان معه ولم يقل آخر ماتكلم به مطلقا فدل على أن قوله هو على ملة عبد المطلب دليل على أنه على التوحيد لأن عبد المطلب كان على التوحيد كبقية آبائه ﷺ كما حقق ذلك الجلال السيوطى وغيره فى رسائل متعددة فأبهم أبو طالب عليهم الجواب ليرضيهم ظاهراً وهو يعلم أن عبد المطلب كان على التوحيد ( وأخرج ابن عساكر )عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن لأبى طالب عندى رحاً سأبلها ببلالها والقائلون بعدم نجاته يقولون أن حديث الصحيحين الذى فيه كان فى غمرات من النار يدفع إيمانه وأن هذا شأن من مات على الكفر ( قال البرزنجى ) قلنا ليس من شأن من مات على الكفر يكون فى الضحضاح من النار بل شأنه أن يكون فى الدرك الأسفل من النار فقبول الشفاعة فيه حتى صار فى ضحضاح دليل على عدم كفره إذ لا تقبل



فى الكافر شفاعة الشافعين وقوله ﷺ لولا أنا كان فى الدرك الأسفل من النار معناه لولا أن الله هداه بى للإيمان لمات كافرا وكان فى الدرك الأسفل من النار فهو نظير قوله ﷺ فى ولد اليهودى الذى زاره ﷺ فى مرضه وعرض عليه الإسلام فأسلم ومات الحمد الله الذى أنقذه بى من النار وحينئذ ظهر لنا معنى لطيف فى هذا الحديث الآخر الذى كان فى غمرات من النار فشفعت له فأخرج إلى ضحضاح منها وهو ان المعنى كان مشرفا على دخول الغمرات حيث أبى أن يشهد ثم تشفعت فيه فهداه الله للإيمان ولاينافى هذا قوله انا لم أسمع لجواز أن الله أخبره بعد ذلك وقوله تعالى انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وإن نزلت فى أبى طالب فنزولها فيه لاينافى ان الله هو الذى هداه بعد أن أيس النبى ﷺ منه وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن على رضى الله عنه قال أخبرت النبى ﷺ بموت أبى طالب فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه واره غفر الله له ورحمه ففعلت وإنما ترك النبى ﷺ المشى فى جنازته اتقاء من شر سفهاء قريش وعدم صلاته لعدم مشروعية صلاة الجنازة يومئذ وقد ذكر أهل السير انه لما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع فيه فى حياة أبى طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا فدخل ﷺ بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تزيل عنه التراب وهى تبكى ورسول الله ﷺ يقول لا تبكى يابنية فإن الله مانع أباك وقال ماناالت منى قريش شيأ أكرهه حتى مات أبو طالب ويؤيد استعجال آذاهم له أنهم قاموا من عند أبى طالب مغضبين حاقدين على رسول الله ﷺ حيث كان يكرر على أبى طالب النطق بالشهادتين ولما رأى رسول الله ﷺ قريشا تهجموا على أذيته قال ياعم ماأسرع ماوجدت فقدك (وجاء فى رواية ) البيهقى أن عليا رضى الله عنه لما مات أبو طالب قال يارسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات قال أذهب فواره قلت أنه مات مشركا قال اذهب فواره فلما واريته رجعت إلى النبى ﷺ فقال

اغتسل فقوله إن عمك الشيخ الضال قد مات مخالف للحديث السابق .

( وأجيب ) بأن هذا منظور فيه إلى ظاهر حاله فى الدنيا ولعل عليا رضى الله عنه قال ذلك بحضور سفهاء المشركين مداراة لهم فلا ينافى الحديث السابق المنظو فيه إلى باطن الحال وحقيقة نفس الأمر وهو إيمانه وتصديقه .

( والحاصل ) أنه يصح الاخبار عنه بالكفر بالنظر لظاهر الحال وأحكام الدنيا فلا ينافى أنه مؤمن باعتبار باطن الأمر وماعند الله بدليل البراهين السابقة الدالة على إيمانه وتصديقه ( قال البرزنجى ) إن اعتمادنا فى نجاته على المسلك الأول الكافى فى النجاة ولانحتاج إلى غيره لكن ذكرناه زيادة تأكيد للمدعى وقد استدل أيضا للنجاة بقوله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون وقد صدقه أبو طالب ونصره بما اشتهر وعلم ونابذ قريشا بسببه بمالاينكره أحد من نقله الأخبار فيكون من المفلحين وقال القائلون بعدم النجاة إنه نصره لكنه لم يتبع النور الذى أنزل معه وهو الكتاب العزيز الداعى إلى التوحيد ولايحصل الفلاح إلا بحصول مارتب عليه من الصفات كلها ( قال البرزنجى ) أقول أن أريد أصل النجاة من النار فهو إنما يترتب على الإيمان الذى هو التصديق عند المحققين وقد حصل له ذلك وإن أريد الفلاح التام فلا يلزم من عدمه حصول الكفر على انا نقول قد اتبعه وأمر باتباعه لأن الظاهر من العواطف أى فى قوله آمنوا به واتبعوا كما هو الأصل فيه ان الاتباع غير الإيمان وإذا كان غيره فيحمل الإيمان على التصديق وهو حاصل وإنما كان الاتباع فيما كان شرع حينئذ ولم يكن إلا التوحيد وصلة الأرحام وترك عبادة الاصنام كما مر عن أبى طالب أنه سأل النبى ﷺ بم بعثت فأخبره أنه بعث بصلة الأرحام وأن يعبد الله ولا يعبد معه غيره ولم يكن فى ذلك الوقت فرضت الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج ولا الجهاد فلم يبق إلا قول لا إله إلا الله فإن اعتبر بما يؤدى التوحيد فقد مر أنه نطق بالوحدانية وبحقيقة الرسالة



وتصديق النبى ﷺ فى أشعاره وإنما طلب النبى ﷺ ذلك منه عند وفاته ليحوز إيمان الوفاة وإن لم يعتد به عند الموت فتكون تلك قرائن دالة على أنه مصدقاً بقلبه وإنما امتنع من النطق به خشية أن ينسبوه إلى الجزع من الموت والخوف من الموت عندهم عار وقد كانوا عريقين فى السيادة والمفاخرة بحيث لايرضون أن ينسب اليهم أقل قليل مما يخالفها فلا يبعد أن يكون ذلك عندهم عظيما وذلك عذر وهذا بحسب ظاهر الأمر وأما فى باطن الأمر فالسبب الحقيقى فى عدم نطقه بحضور القوم المبالغة فى المحافظة على حماية النبى ﷺ ونصرته لعلمه بأنه إذا نطق بذلك وعلموا أنه اتبع النبى ﷺ لم يعتدوا بحمايته وجاهه عندهم بل يخفرون ذمته وينتهكون حرمته ويبالغون فى ايذاء النبى ﷺ وقد كان أبو طالب حريصا على أن يكون أمر النبى ﷺ فى دعوته الخلق إلى الله تعالى باقيا بعد موته فلذلك كان محافظا على بقاء حرمته فى قلوب قريش فلونطق بالشهادتين وعلموا ذلك منه فإنه يفوت غرضه من كمال النصرة والحماية ( ثم ذكر البرزنجى ) احتمالات بسبب تعذيب أبى طالب مع عصاة المؤمنين غير النطق بالشهادتين فقال يحتمل ذلك لترك الصلاة التى كانت فى أول الإسلام وهى ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى فإن أبا طالب طلب منه صلاة تينك الصلاتين فامتنع وكذا التهجد الذى كان يفعله ﷺ فى أول الإسلام فيحتمل أن امتناعه من ذلك كراهة أن يعلم قريش أنه اتبع النبى ﷺ فلا يقبلون حمايته ولايعملون بها فيكون امتناعه من تلك الصلاة مبالغة فى التعمية على قريش ومبالغة فى حطية النبى ﷺ ونصرته فيكون ذلك عذرا لكنه لايمنع كون الامتناع معصية يعاقب عليها وكان هو فى الظاهر يعلل بغير ذلك فإنه لما طلب منه صلاة تلك الصلاة قال لاتعلوتى أسى فيكون ذلك الامتناع عنادا واستكبارا بحسب الظاهر فيعاقب عليه وإن كان مبالغة فى التعمية على قريش ليوهمهم أنه معهم وعلى دينهم ويحتمل أن دخوله النار كان لبعض حقوق العباد التى كانت عليه بعد البعثة ( وقد

ذكر البرزنجى ) فى أول رسالته فى مبحث نجاة الأبوين نجاة جميع الآباء وأنهم كانوا على التوحيد ( ثم قال ) فى مبحث نجاة أبى طالب لم ينقل عن أحد من أعمام النبى ﷺ أنه قال لم تسب آباءنا وتشتم آلهتنا وتسفه أحلامنا كما قالته بقية قريش فلو عرفوا من آبائهم ذلك لقالوا اترك ذكر آبائك بسوء وأما عداوة أبى لهب فكانت بسبب مصاهرة أبى سفيان فإن أبا لهب كان متزوجا أخت أبى سفيان أم جميل وسميت فى الإسلام أم قبيح وهى حمالة الحطب فكان أبو لهب يهوى هواهم فالظاهر أن أبا طالب كان على ملة آبائه ولو عبد أبو طالب صنما يلزم أن يكون أول من أشرك من هذه السلسلة الطاهرة ولم يثبت بطريق ثابت أن أبا طالب أول من أحدث الشرك وعبادة الأصنام من هذا النسب الطاهر والسلسلة المباركة والأصل عدم ذلك فهو تبع لعبد المطلب فى كل أحواله من مكارم الأخلاق وحماية الذمار والرياسة حتى خرج من الدنيا وهو على ملة عبد المطلب وهذا هو الذى أشار إليه أبو طالب لما قال لكفار قريش هو على ملة عبد المطلب فخاطبهم بكلام محمل صحيح يخرجه عن الشك ويدخله فى زمرة الموحدين لما ستعلمه من مناقب عبد المطلب الدالة على أنه كان موحدا وعمى عليهم الأمر ليبقى جاهه وحمايته عندهم

( والحاصل )أن الأحاديث التى فيها ذكر كفر أبى طالب ودخوله النار إنما هو بالنسبة للأحكام الدنيوية نظرا لظاهر الشرع وإن دخوله النار لأجل ترك التلفظ بالشهادتين أو لأجل ترك فرض من الفرائض أو لحق من حقوق العباد ولا يلزم من دخوله النار خلوده فيها وليس فى تلك الأحاديث نص على انه يخلد فى النار وقد شفع النبى ﷺ فى جعله فى ضحضاح ولو كان كافرا ماقبلت شفاعته فيه وصح أن أخف أهل النار عذابا عصاة المؤمنين وأن أبا طالب أخف أهل النار عذابا على الاطلاق فهو أخف حتى من عصاة المؤمنين وصح أن العصاة يخرجون من الجحيم وإن الريح تصفق أبوابها وينبت فيها الجرجير فيكون



أبو طالب من المخرجين منها بل يكون أول المخرجين لأنه أخفهم عذابا والكافرون ليسوا بمخرجين منها فثبت بهذه الأدلة أنه وإن عذب فى النار لا بدله من الخروج منها ودخول الجنة إذ لا واسطة بين الجنة والنار ( ثم قال ) فإن قلت أثبت العلماء له ﷺ نوعا من الشفاعة للكفار وجعلوا ذلك خصوصيه لنبينا ﷺ ومثلوا ذلك بشفاعته لأبى طالب وهى التخفيف من عذابه قلت هذا مبنى على أن أبا طالب كافر وقد أثبتنا إيمانه فهو أول الدعوى وقد أثبتنا أن شفاعته له باعتبار معصية من الكبائر ارتكبها فهو من أفراد قوله ﷺ شفاعتى لأهل الكبائر وليس مستثنى من قوله تعالى فماتنفعهم شفاعة الشافعين ولامخصصا لعموم الآية فهى باقية على عمومها وليس عندهم مثال آخر يمثلون به لشفاعته لأحد من الكفار غير أبى طالب فإن كان لهم دليل آخر فليذكر حتى ننظر فيه نعم إن أرادوا الكفار فى ظاهرالشرع رجع الخلاف لفظيا ولو لم نحمل الكلام على هذا التحقيق يلزمهم أيضا أن قوله تعالى أن الله لايغفر أن يشرك به مخصوص بغير أبى طالب ولاقائل به ( وقد تكلم ) البرزنجى على الآيات التى فى القرآن التى قيل أنها نزلت فى أبى طالب كقوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعدما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم فقال إنى تتبعت الأحاديث الواردة فى سبب نزولها فوجدتها منقسمة إلى ثلاثة أوجه ( الأول ) أنها نزلت فى أبى طالب ( والثانى ) أنها نزلت فى والدة النبى ﷺ ( والثالث )أنها نزلت فى آباء الناس الذين ماتوا فى الكفر كان أولادهم يستغفرون لهم ( أما الوجه الثانى ) وهى أنها نزلت فى والدة النبى ﷺ فهو ضعيف جدا (وأما الوجه الاول) وهو كونها نزلت فى أبى طالب فهو اختصار من الرواة فى الحديث فالصحيح أن سبب النزول هو الوجه الثالث ( ومما ) استدل به على ذلك أن الآية نزلت بالمدينة والسورة مدنية نزلت بعد تبوك وموت أبى طالب كان بمكة قبل نزول الآية بنحو اثنى عشر سنة ثم رأينا أن عليا رضى الله عنه روى

من طرق صحيحة رواها الإمام أحمد والترمذى والطيالسى وابن أبى شيبة والنسائى وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى أن السبب فى نزولها استغفار ناس لآبائهم المشركين قال على رضىَ الله عنه سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت أتستغفر لأبويك وهما مشركان فقال أولم يستغفروا إبراهيم لأبيه فذكرت للنبى ﷺ فنزلت ما كان للنبى والذين آمنوا الآية فهذه الرواية صحيحة ( وقد ) وجدنا لها شاهدا برواية صحيحة من حديث ابن عباس رضى الله عنهما رواها ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانوا يستغفرون لآبائهم حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الآية يعنى استغفر له ما كان حيا فلما مات أمسك عن الاستغفار له وهذا شاهد صحيح فحيث كانت هذه الرواية أصح كان العمل بها أرجح فالأرجح أنها نزلت فى استغفار أناس لآبائهم المشركين لا فى أبى طالب ( ثم ذكر ) أنه يمكن الجمع بينها وبين الرواية التى فيها أنها نزلت فى أبى طالب مع حصول مطلوبنا لأن الرواية التى فيها أنها نزلت فى أبى طالب فيها اختصار حيث قال الراوى فى آخرها لاستغفرن لك ما لم إنه عنك فنزلت ما كان للنبى الآية ولم يقل فقال المسلمون إن رسول الله ﷺ يستغفر لعمه لنستغفرن لآبائنا فاستغفروا لآبائهم فنزلت فى حقهم الآية فحيث حذفت هذه الجملة ظن الراوى أنها نزلت فى أبى طالب ولو ذكرت هذه الجملة لقيل نزلت فى استغفار إناس فى آبائهم ( وبيان ذلك ) إن النبى ﷺ لما عرض على أبى طالب أن يقول لا إله إلا الله بحضور أبى جهل وعبد الله بن أمية المخزومى فأبى أبو طالب فقال النبى ﷺ لاستغفرنّ لك مالم أنه عنك فقال المسلمون ان رسول الله ﷺ يستغفر لعمه لنستغفرن لآبائنا فاستغفروا لآبائهم فنزلت فى حقهم الآية فاختصر الراوى وحذف منه الجملة الأخيرة ومما



يدل على هذا الجمع إنا وجدنا أحاديث يستفاد منها هذا الجمع ( منها ) ماروواه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظى قال لما مرض أبو طالب أتاه النبى ﷺ فعرض عليه أن يقول لا إله إلا الله فأبى أبو طالب فقال النبى ﷺ لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فقال المسلمون هذا محمد يستغفر لعمه وقد استغفر إبراهيم لأبيه فاستغفروا لقراباتهم من المشركين فأنزل الله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا الآية ثم أنزل وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الآية ( وروى ) ابن جرير من طريق شبل عن عمرو بن دينار أن النبى ﷺ قال استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لأبى طالب حتى ينهانى عنه ربى فقال أصحابه لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبى ﷺ لعمه فأنزل الله ما كان للنبى الآية فظهر بهذه الأخبار أن الآية نزلت فى استغفار المسلمين لأقاربهم المشركين فظهر أن فى الرواية التى فيها أنها نزلت فى أبى طالب اختصارا وحذفا بسببه حصل الاشتباه حتى ظن الرواة أنها نزلت فى أبى طالب وليس الأمر كذلك ( ومما يؤيد ) أن هذا الجمع متعين أن السورة كلها مدنية نزلت بعد تبوك وبينها وبين موت أبى طالب نحو من اثنتى عشرة سنة وانضم إلى ذلك حديث على السابق الصحيح وما انضم إليه من الشواهد وكون الآية مدنية فلا ينبغى إلغاء تلك الشواهد بترجيح أنها نزلت فى أبى طالب وإن كان مذكورا فى الصحيحين إذ قد يرجح حديث غير الصحيحين لأمور تقتضى ذلك وقد صرحوا بذلك فى أصول الحديث فقولهم يقدم حديث الصحيحين أو إحدهما ليس على اطلاقه ومما يؤيد هذا الجمع أن المراد من أبى إبراهيم عمه كما حققنا ذلك فى نجاة الأبوين وأجمع على ذلك أهل الكتابين التوراة والإنجيل وعم إبراهيم وهو آزر كان يتخذ أصناما آلهة كما حكى الله عنه وكان يقول لإبراهيم أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم ( ولم ينقل ) عن أبى طالب بطريق صحيح أنه اتخذ صنما إلها أوعبد حجرا أونهى النبى ﷺ عن عبادة ربه غايته أنه ترك النطق بالشهادتين أو ترك بعض

الواجبات ومع ذلك قلبه مشحون بتصديق النبى ﷺ ومثل هذا ناج فى الآخرة على مقتضى ديننا فلا يليق بالحكمة ولابمحاسن الشريعة الغراء ولابقواعد الأئمة من أهل الكلام أن يكون هو وآزر عم إبراهيم فى قرن واحد حاشا من كرم الله تعالى ( قال ) حسان رضى الله عنه .

أمن يهجو رسول منكم ويمدحه وينصره سواء

فإن أبا طالب رباه صغيرا وآواه كبيراً ونصره ووقره وذب عنه ومدحه بقصائد غرر ورضى باتباعه وليس فى حديث عمرو بن دينار المارآنفا دلالة على شركه فى قوله استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لأبى طالب بل يمكن أن معناه أن إبراهيم استغفر لأبيه مع شركه فكيف لا أستغفر أنا لأبى طالب مع أن خطيئته دون الشرك فلا أزال أستغفر له حتى ينهانى ربى ولم ينه بل نهى عن الاستغفار للمشركين لا لخصوص عمه فلو كان كذلك لقيل أن يستغفروا للمشركين وان يستغفر النبى لعمه ولم يقل كذلك ويصرح بهذا ما أورده فى الدر المنثور من طريق ابن جرير عن قتادة إن رجالا من أصحاب رسول الله ﷺ سألوه عن الاستغفار لآبائهم فقال والله إنى لاستغفر لأبى كما استغفر إبراهيم لأبيه فأنزل الله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية فقال النبى ﷺ إنى أوحى إلى كلمات قد دخلن فى أذنى ووقرن فى قلبى أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركا فكونه ﷺ قال إنى لأستغفر لأبى يعنى لعمى ثم لم يقل أمرت أن لا أستغفر له بل قال لمن مات مشركا جواب لسؤال أصحابه مع الإشارة الخفية إلى أن عمه لم يكن مشركا فدلت أحاديث شفاعته ﷺ على أنه يشفع فيمن فى قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان وهذه الإشارة الخفية كانت تقع منه ﷺ حرصا منه على الصدق وأن لايقع فى كلامه لفظ مخالف للواقع فإنه معصوم من الكذب وهو منه مستحيل فيأتى بلفظ عام فيه إشارة خفية فيحصل بذلك جواب السائل ويرضى به وتطيب به نفسه ( ومن ذلك ) مارواه



ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما ما قال جاء إعرابى إلى النبى ﷺ فقال إن أبى كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو قال فى النار فكأنه وجد من ذلك فقال الرجل أين أبوك أنت فقال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار فأسلم الأعرابى وقال لقد كلفنى رسول الله ﷺ شططا ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار فأجمل رسول الله ﷺ الجواب بقوله حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار جريا على عادته إذا سأله أعرابى وخاف من إفصاح الجواب له فتنته واضطراب قلبه أجاب بجواب فيه تورية وإيهام مع تحرى الصدق فهذا لم يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة حكم أبيه لأبيه فى المحل الذى هو فيه خشية ارتداده لما جبلت عليه النفوس من كراهية الاستيثار عليها ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب فأورد له جوابا موهما تطييبا لقلبه فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره مما غيره الرواة بالمعنى كرواية مسلم أن رجلا قال يارسول الله أين أبى قال فى النار فلما ولى دعاه فقال إن أبى وأباك فى النار فهذه الرواية منكرة وللعلماء فيها كلام كثير لخصه الزرقانى فى شرح المواهب قال وأحسن مايقال فيها إن الرواة تصرفوا فيها واختلفت رواياتهم وإن الصواب كالرواية الأولى وهو حيثما مررت بقبر كافر فهى فى غاية الاتقان يتبين بها أن اللفظ العام وهو حيثما مررت بقبر كاف فبشره بالنار هو الصادر منه ﷺ فكأن بعض الرواة فهم إن قوله حيثما مرت بقبر كافر شامل لأبى النبى ﷺ وأنه كافر فغيره ورواه بالمعنى على حسب فهمه وقال إن أبى وأباك فى النار ومانقدم من أن آزر عم إبراهيم وليس بابيه هو القول الصحيح قال العلامة ابن حجر الهيتمى ان أهل الكتابين أجمعوا على ان آزر لم يكن أبا لإبراهيم حقيقة وإنما كان عمه وسماه الله فى القرآن أبا لأن العرب تسمى العم أبا وجزم بذلك الفخر الرازى وقال جاء فى القرآن تسمية العم أبا قال تعالى وإلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل مع أن الكلام كان مع أولاد

يعقوب وإسمعيل عم يعقوب وقد سبق الرازى إلى ذلك جماعة من السلف منهم ابن عباس ومجاهد وابن جرير والسدى قالوا ليس آزر أبا إبراهيم وإنما هو عمه لأن إبراهيم أبوه تـارخ ( وممن وافق الرازى ) الإمام الماوردى من أئمة الشافعية وقال فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين كما قال الرازى ان المراد تقلبه وتنقله من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية وهذا وجه من وجوه تفسير الآية وليس مراده الحصر فى هذا الوجه ولكن هذا الوجه هو الاولى بالقبول ( فقد أخرج ) ابن سعد والبزار والطبرانى وأبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ونقلبك فى الساجدين قال من نبى إلى نبى ومن نبى إلى نبى حتى أخرجتك نبيا ففسر تقلبه فى الساجدين بتنقله فى أصلاب الانبياء ولو مع الوسائط وحمل الآية على أعم منهم وهم المصلون الذين لم يزالوا فى ذرية إبراهيم أوضح ليشمل غير الانبياء ( فقد أخرج ) ابن المنذر عن ابن جريج فى قوله تعالى رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى قال فلا تزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى ( وعن ) ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد فى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه انها لا إله إلا الله باقية فى عقب إبراهيم عليه السلام ( وعن ) قتادة فيفى الآية هى شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لايزال فى ذريته من يقولها من بعده ( وقد صح ) من طرق صحيحة أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين فمن ذلك ما أخرجه عبد الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن على رضى الله عنه قال لايزال على وجه الارض سبعة مسلمون فصاعدا ولولا ذلك لهلكت الأرض ومن عليها ( وأخرج ) الإمام أحمد فى الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ماخلت الارض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض ( وأخرج ) البخارى حديث بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرنفى الآية هى شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لايزال فى ذريته من يقولها من بعده ( وقد صح ) من طرق صحيحة أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين فمن ذلك ما أخرجه عبد الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن على رضى الله عنه قال لايزال على وجه الأرض



سبعة مسلمين فمن ذلك ما أخرجه عبد الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط مسلمون فصاعدا ولولا ذلك لهلكت الأرض ومن عليها ( وأخرج ) الإمام أحمد فى الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ماخلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض .

( وأخرج ) البخارى حديث بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه فإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أعنى بعثت من خير قرون بنى آدم الخ وأن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين الخ أنتج ماقاله الإمام الرازى من أن آباءه كلهم موحدون لأنه إن كان كل جد من أجداده من جملة السبعة المذكورين فى زمانهم ففيه المدعى وإن كانوا غيرهم فإما أن يكونوا على الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام فهو المدعى أيضا وإما أن يكونوا على الشرك فيلزم أحد أمرين إما إن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح من أنهم من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا وإما أن يكونوا خيرا وهم على الشرك وهو باطل بالإجماع قال تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك فثبت أنهم على التوحيد فيكونوا خير أهل الأرض فى زمانهم ( وقد ذكر البرزنجى ) والسيوطى وغيرهم ممن ألفوا فى نجاة آباء النبى ﷺ وأمهاتهم وفى أنهم كلهم على التوحيد دلائل وبراهين على ذلك وأفردوا كل أحد من الآباء بترجمة ( وقد صح ) فى أحاديث كثيرة أنه ﷺ قال لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات وفى رواية لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين وقوله ﷺ من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات فآباء النبى ﷺ وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر لأن الكافر لايوصف بأنه طاهر

( وإلى هذا ) أشار صاحب الهمزية حيث قال :

لم تزل فى ضمائر الكون تختار  لـــك الأمهـــات والآبـــاء

وقال رسول الله ﷺ ماولدت من بغى قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعنى الأمم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضلْ حيين من العرب هاشم وزهرة وحيث إن أبا طالب قال هو على ملة عبد المطلب فلنذكر بعض ماذكروه فى عبد المطلب لتعلم علما يقينيا أنه كان على التوحيد فماذكروه فى عبد المطلب أنه نشأ على أكمل الصفات وانتهت إليه الرياسة بعد عمه المطلب وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيات الأمور وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم من أرض الشام ولم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب فى ذلك ففكر وقال والله إن وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسىء باساءته أى فالظلوم شأنه أن تصيبه عقوبة فإن أخرج من الدنيا لم تصبه عقوبة فهى معدة له فى الآخرة فهذا إيمان منه باليوم الآخر علمه بالفراسة الصادقة وهى نور الهى يقع فى القلب وكان عبد المطلب يرفض عبادة الأصنام ويعترف بوحدانية الله تعالى ولم تكن شريعة مشروعة فى زمنه فلهذا كانت عبادته التفكر فى آلاء الله ومصنوعاته وصلة الأرحام واصطناع لمعروف والاتصاف بمكارم الأخلاق وكان يختلى كثيرا بغار حراء ليجتمع فكره وقلبه فى الاستغراق فى التفكر فى صفات الله وأفعاله الدالة عليه وورد عنه فى السنة أشياء كان متصفا بها ويأمر الناس بفعلها ( منها ) الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهى عن قتل الموؤدة وتحريم الخمر والزنا وأن لايطوف بالبيت عريانا ( وهو ) أول من جعل الدية مائة من الإبل فجاء الشرع مؤيدا ذلك ومقرا ( وكان ) لطيب ريحه يفوح منه رائحة المسك وكان نور النبى ﷺ يضىء فى غرته ( وفيه يقول القائل ) :

علا شيبة الحمد الذى كان وجهه  يضىء ظلام الليل كالقمر البدر



وكانت قريش إذا أصابها قحط شديد تأتى عبد المطلب فتستسقى به فيسقون ولما جاء أصحاب الفيل ليهدموا الكعبة هلكوا بدعائه عند البيت المعظم

( ومما نقل ) عنه فى ذلك اليوم :

لاهم إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

( وقال أيضا )

يارب لا أرجو لهم سواكا  يارب فامنع عنهم حماكا

إن عدوّ البيت قد عاداكا  فامنعهمو أن يخربوا قراكا

( وأخذ ) أصحاب الفيل له ذودا من الإبل فذهب إلى أبرهة رئيسهم يسأله اطلاق إبله فعظمه وأجلسه معه على سريره فلما سأله اطلاق إبله قال له أبرهة سقطت من عينى جئت لأهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك فألهاك عنه ذود أخذ منك فقال أنا رب الإبل وللبيت رب يمنعه وقال يامعشر قريش لايصل إلى هدم البيت لأن لهذا البيت ربا يحميه فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل فأهلكهم وكان لعبد المطلب إبل كثيرة يجمعها فى الموسم ويسقى لبنها بالعسل فى حوض من آدم عند زمزم ويشترى الزبيب فينقعه بماء زمزم ويسقيه الحاج .

(ولما )توفى عبد المطلب قام بالسقاية أبو طالب ثم بعده العباس

( ومن كلام عبد المطلب ) :

يارب أنت الملك المحمود  وأنت ربى الملك المعبود

من عندك الطارف والتليد

( وكان ) عبد المطلب يكرم النبى ﷺ ويعظمه وهو صغير ويقول إن

لابنى هذا لشأنا عظيماً ( وقد سمع ) من الكهان والرهبان شيئا كثيرا فى شأن النبى ﷺ قبل ولادته وبعدها ( وكان ) عبد المطلب رئيس قريش معظما فيها وكانوا يفرشون له حول الكعبة فيجلس ويجتمع حوله رؤساء قريش ولايستطيع أحد أن يجلس على فراشه ولا أن يطأه بقدمه وكان النبى ﷺ وهو صغير يزاحم الناس فيدخل حتى يجلس بجنب جده عبد المطلب وربما جاء قبل جده عبد المطلب فجلس على فراشه فإذا أراد أحد من أعمامه أن يمنعه يزجره جده عبد المطلب ويقول دعوه إن له لشأنا ثم يجلس على فراشه معه ويمسح ظهره ويسره مايراه يصنع ( وتوفى ) عبد المطلب وعمر النبى ﷺ ثمان سنين فأوصى به إلى عمه أبى طالب وكان شقيق أبيه عبد الله وأمهما فاطمة بنت عمر وابن عائذ بن عمرابن مخزوم ( وعن ابن عباس رضى الله عنهما ) قال سمعت أبى العباس يقول كان لعبد المطلب مفرش فى الحجر يجلس عليه لايجلس عليه غيره وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون الفرش فجاء رسول الله ﷺ يوما وهو غلام فجلس على الفرش فجذبه رجل فبكى فقال عبد المطلب ما لابنى يبكى قالوا أراد أن يجلس على الفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا ابنى يجلس عليه فإنه يحس من نفسه بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولابعده فكانوا بعد ذلك لايردونه عنه حضر عبد المطلب أوغاب وفى رواية دعوا ابنى أنه ليؤنس ملكا وفى رواية فإنه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن وكان عبد المطلب من علماء قريش وحكمائها وكان مجاب الدعوة محرما للخمر على نفسه وهو أول من تحنث بغار حراء والتحنث والتعبد الليالى ذوات العدد وكان إذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين وكان صعوده للتخلى عن الناس يتفكر فى جلال الله وعظمته وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش فى رؤس الجبال وكان يقال له مطعم الطير ويقال له الفياض ولد وفى رأسه شيبة فقيل له شيبة الحمد رجاء أنه يكبر ويشيخ



ويكثر حمد الناس له وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له لأنه كان مفزع قريش فى النوائب وملجأهم فى الأمور وشريفهم وسيدهم كمالا وفعلا عاش مائة وأربعين سنة وله مناقب كثيرة ( منها ) حفر بئر زمزم وكانت درست بعد إسمعيل فأمر فى المنام بحفرها وأرشد فى المنام إلى محلها وقصة ذلك طويلة مذكورة فى كتب السير وفى السيرة الحلبية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ يبعث جدى عبد المطلب يوم القيامة فى زى الملوك وأبهة الإشراف ( قال البرزنجى ) ويروى أن عبد المطلب يعطى نور الانبياء وجمال الملوك ويبعث أمة وحده قال لأنه كان على التوحيد وذلك كمن أخبر عنه النبى ﷺ من أمثاله كزيد ابن عمرو بن نفيل وورقة ابن نوفل أنه يبعث أمة وحده ومن يبعث أمة وحده لايبعد أنه يعطى نور الأنبياء لأنه مستقل لاتابع وأما كونه يعطى جمال الملوك فلأنه كان سيد قريش فى زمانه وهو ملحق بالملوك الذين عدلوا وماظلموا وهذا له شاهد فيما رواه البيهقى وأبو نعيم عن كعب الأحبار أنه قال فى التوراة فى صفة أمة محمد ﷺ أنهم فى القيامة يعطون نور الأنبياء وبالجملة فمن وقف على ماذكره العلماء فى ترجمته علم علما يقينيا أنه كان على التوحيد وهكذا بقية آبائه إلى آدم عليه السلام وبهذا يعلم أن قول أبى طالب هو على ملة عبد المطلب إشارة إلى أنه على التوحيد ومكارم الأخلاق ولو لم يصدر من أبى طالب من الإشارات الدالة على توحيده إلا قوله وهو على ملة عبد المطلب لكان ذلك كافيا فلله دره من لبيب حاذق وهذا المسلك الذى سلكه العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجى فى نجاة أبى طالب لم يسبقه إليه أحد فجزاه الله أفضل الجزاء ومسلكه هذا الذى سلكه يرتضيه كل من كان متصفا بالانصاف من أهل الإيمان لأنه ليس فيه إبطال شىء من النصوص ولاتضعيف لها وغاية مافيه إنه حملها على معان مستحسنة يزول بها الأشكال ويرتفع الجدال ويحصل بذلك قرة عين النبى ﷺ والسلامة من الوقوع فى تنقيص أبى طالب أوبغضه فإن ذلك يؤذى النبى ﷺ وقد

قال الله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا وقال تعالى والذى يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ( وقد ذكر الإمام أحمد بن الحسين الموصلى الحنفى ) المشهور بابن وحشى فى شرحه على الكتاب المسمى بشهاب الأخبار للعلامة محمد بن سلامة القضاعى المتوفى سنة ٤٥٤ إن بغض أبى طالب كفر ونص على ذلك أيضا من أئمة المالكية العلامة على الأجهورى فى فتاويه والتلمسانى فى حاشيته على الشفاء فقال عند ذكر.

أبى طالب لا ينبغى أن يذكر إلا بحماية النبى ﷺ لانه حماه ونصره بقوله وفعله وفى ذكره بمكروه أذية للنبى ﷺ كافر والكافر يقتل .

وقال أبو الطاهر من أبغض أبا طالب فهو كافر ( والحاصل ) أن إيذاء النبى ﷺ كفر يقتل فاعله إن لم يتب وعند المالكية يقتل وإن تاب ( وروى ) الطبرانى والبيهقى أن ابنة أبى لهب واسمها سبيعة وقيل درة قدمت المدينة مسلمة مهاجرة فقيل لها لاتغنى عنك هجرتك وأنت بنت حطب النار فتأذت من ذلك فذكرته للنبى ﷺ فاشتد غضبه ثم قام على المنبر فقال مابال أقوام يؤذوننى فى نسبى وذوى رحمى فمن آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى وأخرج ابن عساكر عن على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من آذى شعرة منى فقد آذانى ومن أذانى فقد آذى الله تعالى فبغض أبى طالب والتكلم فيه يؤذى رسول الله ﷺ ويؤذى أولاده الموجودين فى كل عصر وقد قال ﷺ لاتؤذوا الأحياء بسبب الأموات ( ومما يؤيد هذا التحقيق ) الذى حققه العلامة البرزنجى فى نجاة أبى طالب أن كثيراً من العلماء المحققين وكثيراً من الأولياء العارفين أرباب الكشف قالوا بنجاة أبى طالب منهم القرطبى والسبكى والشعرانى وخلائق كثيرون وقالوا هذا الذى نعتقده وندين الله به وإن كان ثبوت ذلك عندهم بطريق غير الطريق الذى سلكه البرزنجى فقد اتفق معهم على القول بنجاته فقول هؤلاء الأئمة بنجاته أسلم للعبد عند الله تعالى لاسيما مع قيام هذه الدلائل



والبراهين التى أثبتها العلامة البرزنجى ومما استدل به القائلون بعدم نجاته أن النبى ﷺ لم يورث منه جعفرا ولاعليا لاختلاف الدين وأجاب البرزنجى عن ذلك بوجوه ( منها ) أن الميراث فى وقت موت أبى طالب لم يفرض وإنما كان الأمر بالوصية فقد يكون أبو طالب أوصى بماله لعقيل فإنه كان يحبه كثيرا ويحتمل على تسليم أن عقيلا أخذ ذلك ميراثا أن النبى ﷺ إنما سكت معاملة لأبى طالب وعقيل بحسب ظاهر الأمر من الكفر بحسب أحكام الدنيا قيل إن مما نزل فى أبى طالب إنا أرسناك بالحق بشيراً ونذيراً ولاتسأل عن أصحاب الجحيم وهذا القول ضعيف جدا كالقول بأنها نزلت فى أبوى النبى ﷺ فإن ذلك ضعيف أيضا بل قيل إن ذلك باطل لا أصل له والآية إنما نزلت فى اليهود (قال) أبو حيان فى البحر وسوابق الآيات ولو أحقها تدل على ذلك أى فإن الجميع نزل فى اليهود بخلاف ذلك يوجب تفكيك نظم الآيات وذهاب جزالتها كما أشار إلى ذلك المولى أبو السعود فى تفسيره ( وقد ذكر البرزنجى ) أحاديث كثيرة تدل على نجاة أبى طالب ثم قال وإن كان بعضها ضعيفا لكن لكثرتها يقوى بعضها بعضا لاسيما وأكثرتها صحيح لاضعف فيه ( فمن الصحيح ) ما أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن على رضى الله عنه قال أخبرت رسول الله ﷺ بموت أبى طالب فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه ( وفى السيرة الحلبية ) إن هذا الحديث أخرجه أيضا أبو داود والنسائى وابن الجارود وابن خزيمة عن على رضى الله عنه قال لما مات أبو طالب أخبرت النبى ﷺ بموته فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله ورحمه ( ثم قال البرزنجى ) على أن اعتمادنا على المسلك الأول الكافى فى النجاة ولانحتاج إلى هذا ولكنه زيادة تأكيد فى المدعى ومن الأحاديث التى ذكرها فى الشفاعة مارواه الإمام أحمد والطبرانى والبزار عن معاذ ابن جبل وأبى موسى رضى الله عنهما قالا قال رسول الله ﷺ إن ربى خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة أو شفاعة فاخترت لهم الشفاعة وعلمت

أنها أوسع لهم وهى لمن مات لايشرك بالله شيئا وروى الإمام أحمد وابن أبى شيبة والطبرانى عن أبى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إنى أخرت شفاعتى وجعلتها لمن مات من أمتى لايشرك بالله شيئا وفى رواية لأبى يعلى وأبى نعيم عن أبى ذر رضى الله عنه وهى نائلة منهم إن شاء الله تعالى من لم يشرك بالله شيئاً وفى رواية عن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ سألت الله أن لايلقاه عبد من أمتى بوحده إلاأدخله الله الجنة وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما إن رسول الله ﷺ تلا قول ابراهيم فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم وقول عيسى إن تعذبهم فإنهم عبادك وأن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال أمتى أمتى ثم بكى فقال الله ياجبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك فى أمتك ولانسوءك ( وروى ) البزار والطبرانى عن على كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ قال أشفع لامتى حتى يناديني ربى أرضيت يامحمد فأقول أى رب رضيت ( وروى ) الطبرانى فى الأوسط بسند حسن عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إنى أخرت شفاعتى لأمتى وهى بالغة إن شاء الله من مات لايشرك بالله شيئا ( قال البرزنجى ) فانظر هذه الأحاديث فإنها كلها تدل على أن الشفاعة لاتنال مشركا وقد نالت الشفاعة أبا طالب بنص الحديث الصحيح ونعلم قطعا أنه كان يصدق بنبوة النبى ﷺ وصدقه وحقية دينه وكفى بالظاهر دليلا فلابد من القول بنجاته ولامنافاة بينها وبين الأحاديث التى فيها ذكر كفره ودخوله النار لما تقدم إن الحكم بكفره إنما هو بالنسبة للأحكام الدنيوية نظرا لظاهر الشرع وأن دخوله النار لأجل ترك فرض من الفرائض وهذا لايلزم منه خلوده فى النار وليس هناك نص على أنه مخلد فى النار مع مامر فى بيان سبب نزول النهى عن الاستغفار من الجمع ولله الحمد وتقدم إن قوله تعالى « إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » لايمنع من إيمانه فإنها إنما دلت على أنك لاتهديه ولكن الله



يهدى من يشاء فنقول إن الله هداه وتقدم أن العباس لما أخبر النبى ﷺ بأنه أتى بالشهادة قال له لم أسمعه إنما قال له ذلك نظرا إلى ظاهر الحال وذلك لايمنع إن الله أطلعه على إيمانه ولذلك قال كل الخير أرجو من ربى ( وقد ) صح أن العباس سأل رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أترجو لأبى طالب خيراً قال كل الخير أرجو من ربى وهذا الحديث رواه ابن سعد فى الطبقات بسند صحيح ورجاؤه ﷺ محقق ولا يرجو كل الخير إلا لمؤمن ولايجوز أن يراد بهذا ماحصل له من تخفيف العذاب فإنه ليس خيراً فضلا عن أن يكون كل الخير وإنما تخفيف العذاب تخفيف الشر وبعض الشر أهون من بعض وحصول كل الخير إنما يكون بدخول الجنة قال بعض العارفين أنه ثبت عند أهل الكشف إيمان أبى طالب ثبوتا لاشك فيه ولعل السبب فى أن الله أيهم أمره بحسب ظاهر الشرع لتطييب قلوب أصحاب النبى ﷺ الذين كان آباؤهم كفاراً لأنه لو صرح لهم بإيمان أبى طالب وهم يرونه كافراً بحسب الظاهر مثل آبائهم تنفر قلوبهم وتنوغ صدورهم ويقولون إنه لافرق بينه وبين آبائنا فكيف يكون ناجيا وهم معذبون وهذا يكون منهم بحسب ماتقتضيه الطبيعة البشرية فإنها تنفر من استئثار غيرها عليها كما تقدم نظير ذلك فى الذى قال أين أبى ولو أظهر أبو طالب إيمانه لفات ماقصده من نصرة النبى ﷺ وحمايته ثم فى ذلك الله تعالى حكم كثيرة لا اطلاع لنا عليها فيجب علينا التسليم لأمر الله تعالى والانقياد لحكمه والرضا به وحفظ الأدب مع رسول الله ﷺ وأهل بيته وصحابته وتحسين الظن بهم حتى لايطالبنا أحد منهم بظلامة ونسأل الله تعالى التوفيق هذا خلاصة ماخلصته من الخاتمة التى ذيل بها العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجى رسالته التى ألفها فى نجاة الأبوين مع ماضممته إلى ذلك مما وجدته فى المواهب اللدنية والسيرة الحلبية وغيوهما من الكتب المعتمدة المرضية ( قال العلامة البرزنجى ) فى آخر الخاتمة التى هى آخر رسالته لما أكملت تسويده فى أوائل شهر الله الحرام ذى القعدة من شهور سنة ألف وثمانون

بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام فى منزلى بالزقاق المشهور بزقاق البدور وهو داخل السور أرسلت به إلى بعض خدام الحرم الشريف ممن له قدم فى طريق الله تعالى وله أذكار وأوراد وله سلوك وهو متوسم بالصلاح ليدخله الحجرة الشريفة تحت أستار كسوة القبر المعظم ﷺ فإنه هديته ﷺ فإن وقع فى حيز القبول بيضته وإلا ضيعته قبل أن تنتشر منه النسخ فأدخله تحت واستمر فيه ليلتين ثم رده إلى وبشرنى بأنه وقع فى حيز القبول من حضرة الرسول ﷺ وشفعه فى جميع الفروع فحمدت الله على ذلك وبيضته بعون الملك المالك فالحمد لله على ما أنعم وألهم ثم له الحمد على أنه كما بدأ تمم حمداً كثيراً طيبا مباركا فيه حمداً يوفى نعمه ويكافىء مزيده كما ينبغى لجلال وجهه وعظمة سلطانه حمداً يستوجب المزيد الموعود بقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وأكمل الصلاة والتسليم على المبعوث بالقرآن الحكيم والموصوف بالخلق العظيم المنعوث بأنه بالمؤمنين رؤف رحيم صلاة وسلاما تجازيان عناه وتوازيان غناه وعلى آله وأصحابه وآبائه وأمهاته وأزواجه وذرياته وورثة علومه وعباداته وغفر الله لنا ولوالدينا وإخواننا قلبا وصلبا ودينا ولجميع المسلمين والمسلمات ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين هذا آخر ما فى رسالة السيد محمد بن رسول البرزنجى المؤلفة فى نجاة الأبوين المذيلة بالخاتمة التى فى نجاة أبى طالب عم النبى ﷺ

( قال المؤلف رحمه الله تعالى ) وكان الفراغ من تسويد ذلك يوم السبت الثامن عشر من شهر شعبان المبارك سنة ألف وثلاثمائة وثلاثة من هجرة النبى ﷺ



## ( ترجمة مولانا السيد محمد بن رسول البرزنجى )

( اعلم ) أن العلامة الشيخ محمد المرادى الدمشقى فى كتابه أسلاك الدرر فى وفيات أعيان أهل القرن الثانى عشر ترجم مؤلف الرسالة المذكورة وهو العلامة مولانا السيد محمد بن رسول البرزنجى المنتهى نسبه إلى الإمام سيدنا موسى الكاظم ابن الإمام سيدنا جعفر الصادق ابن الإمام سيدنا محمد الباقر ابن الإمام سيدنا على زين العابدين ابن الإمام سيدنا الحسين السبط ابن الإمام سيدنا على بن أبى طالب وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد رسول الله ﷺ بترجمة جليلة ووصفه بكثرة العلم والعمل وقوة الفكر والفهم والإدراك والاقتدار على الجدل وإقامة الحجة والبرهان بحيث أنه فى أكثر محاوراته يقلب حجة

خصمه ويجعلها حجة عليه كما رأيت فى هذه الرسالة وصنع مثل ذلك فى كتابه المسمى بالنوافض بالفاء للروافض فإنه كتاب عجيب لم يؤلف فى الرد على الروافض كتاب مثله وفى أكثر المواضع يقلب حجتهم ويجعلها حجة عليهم وكذلك ترجمة العلامة الحموى فى نتائجه والذهبى فى نفحاته والعلامة البيتى فى شذوره والعياشى فى رحلته وأطنب كل منهم فى مدحه غاية الإطناب وقالوا فيه كان علامة المعقول والمنقول وإمام أهل الفروع والأصول الجامع للفنون العلمية المتضلع من أذواق الأسانيد النبوية واجتمع عنده من الفضائل مايعجز عن ذكره الناقل مع علوهمة وخوف من الله فى السر والإعلان ووقوف مع الحدود الشرعية قالوا وكان له قوة اقتدار على الأجوبة والمسائل الغامضة المشكلة فى أسرع وقت وأعذب لفظ وأسهله وأوجزه وأكمله وذكر بعضهم أنه قد عده بعض العلماء فى المجددين وقال فى سرده أسماء المجددين نظما :

حادى عشر قد كان برزنجى  مجـددا  وشرطـه جلـى

( ولد رحمه الله ) سنة ألف وأربعين ليلة الجمعة ثانى عشر ربيع الأول بشهر زور بقرية برزنج وبها نشأ وقرأ على والده وبه تخرج فى العلوم ثم رحل إلى بلدان كثيرة وأخذ العلوم عمن بها من العلماء الأعيان وتوطن المدينة المنورة وتصدر بها للتدريس وألف التصانيف العجيبة المفيدة منها مامر ومنها أنهار السلسبيل فى شرح أسماء التنزيل للبيضاوى وشرح ألفية السيوطى فى مصطلح الحديث وسماه المصطيح لايصاح ألفية المصطلح ومختصر تلخيص المفتاح ومرقاة الصعود فى تفسير أوائل العقود والضاوى على صبح فاتحه البيضاوى وحالى الأحزان فى فضائل رمضان والإشاعة فى أشراط الساعة وله مؤلفات كثيرة غير ذلك كلها من أعجب الأعاجيب ( توفى ) رحمه الله تعالى بالمدينة سنة ألف ومائة وثلاثة ظهر يوم الاثنين فى داره بزقاق القشاشى وكان له مشهد عظيم قيل أنه مات مسموما ودفن بالبقيع الشريف عند أرجل بنات النبى ﷺ



خارج القبة الشريفة التى عليهن مما يلى القبلة بين القبة المذكورة وقبة سيدنا عباس وأهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين وبجانبه قبر العلامة السيد جعفر ابن السيد حسن البرزنجى الآتى ذكره والموضع المذكور من البقيع مقبرة السادة البرزنجيين وله عقب مبارك كلهم من ذوى العلم والفضل والصلاح يتداولون فتوى الشافعية بالمدينة المنورة وبرزنج قرية بشهر زور من سواد العراق ( ومن أولاده ) السيد عبد الكريم المدفون بجدة المشهور بالمظلوم وسبب ذلك أنه فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف فى دولة الشريف مبارك بن أحمد بن زيد أمير مكة وقعت فتنة بين أهل المدينة وأغوات الحرم ووقع فيها قتال يوما وبعض يوم وانتشر فساد وشر كثير ثم عرض ذلك إلى الدولة العلية وذكروا أن السيد المذكور وولده السيد حسن وبعض أعيان أهل المدينة حرضوا الناس فى تلك الفتنة فصدر الأمر من الدولة العلية بقتل بعض أشخاص ونفى آخرين وكان السيد عبد الكريم المذكور من جملة المأمور بقتلهم وكذا ولده السيد حسن أما ولده فكان رحمه الله صاحب كرامات وكان يدرس بعد صلاة الصبح فى المسجد النبوى فلما أرادوا القبض عليه ذهبوا إليه ليقبضوا عليه فى المسجد وهو يدرس فلما قربوا منه طمس الله على أعينهم فكانوا يسمعون صوته وهو يدرس ولايرون شخصه فرجعوا وأخبروا آمرهم بذلك فلم ينزجر فأرسل إليه غيرهم فجاءوا وقد تمم السيد درسه وذهب إلى داره بباب السلام فذهبوا إليه وأحاطوا بداره وجلس ناس منهم عند باب داره وأدخل الله الرعب والخوف فى قلوبهم فلم يتجاسروا على الدخول عليه فلما علم السيد أن فكاكه منهم لايمكن إلا بالخروج من المدينة إلى مصر تطهر وتوضأ وصلى ركعتين وأخذ قبضة من التراب فخرج عليهم وهو يتلو شاهت الوجوه شاهت الوجوه وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما ونثر على رؤسهم التراب وهم لايعلمون وخرج من بين أيديهم وهم لايبصرون ولم يعلموا له خبراً حتى وصل إلى مصر وأتاهم خبره فأقام بمصر مدة ودخل الجامع

الأزهر واجتمع بالأكابر من العلماء وألف كتابه نفثه المصدور وهو كتاب لم يؤلف نظيره فى الفصاحة والبلاغة والقصائد النعتية النبوية والكلمات الحكمية سلك فيها طريق القوم من السادة الصوفية مشيراً إلى ماحصل له من الكدر وماذاقه من الألم والفراق والبعد عن الحضرة النبوية وأشار فيه إلى هذه القصة وأن النبى ﷺ أشار إليه بالخروج إلى مصر وأن يخرج عليهم وينثر على رؤسهم التراب وأنهم لايبصرونه نظير ماوقع له ﷺ عند الهجرة إلى المدينة ثم عاد بعد ذلك إلى الخروج المدينة ( وأما والده ) رحمه الله فصعب قبضه بالمدينة فحسن له بعض أعدائه الخروج من المدينة إلى مكة المشرفة والإقامة بها فلما وصل إلى مكة قبضه الوزير أبو بكر باشا وأنفذه إلى جدة وحبس بقلعتها ثم صدر الأمر بقتله فقتل خنقا فى ليلة الثامن من شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف ورمى فى سوق جدة يوما كاملا ثم رفعه بعض أهل الخير بشفاعة والتماس وغسل وكفن ودفن بجدة وهرعت الناس إلى جنازته للتبرك بها ولقب بالمظلوم رحمه الله رحمة واسعة ( ذكر فى الروض الأعطر ) مانصه ثم عقب ذلك بيسير جاء الأمر بعزل الوزير المذكور فخرج متوجها إلى الأستانة وركب مع من معه فى سفينة من جدة فبعدما حلوا شراعها وجرت بهم غير بعيد أنت ريح عاصفة فأغرقه الله ولم ينج منهم إلا قليل قال هكذا أخبرنى به بعض أهل العلم من أهل جدة سماعا عن غيره من الثقات انتهى وخلف ابنه السيد حسن السيد جعفر صاحب المولد الشهير الذى مفتتحه ابتدىء الإملاء باسم الذات العلية وابنه العلامة السيد على صاحب المنظومة الرائية الموسومة بجالية الكدر فى أسماء أصحاب سيد الملائك والبشر نظم فيها أسماء أهل بدر وأحد التى أولها :

بدرية وافت ببرهان بهر  أحدية فى سردها سر ظهر

وابنه العلامة السيد محمد البرزنجى فكلمهم أبناء السيد حسن وكان السيد جعفر المذكور إماما عالما عاملا ولد سنة ست وعشرين ومائة وألف بالمدينة



المنورة فنشأ بها وقرأ القرآن وأخذ العلم من مشايخ كثيرين يطول تعدادهم وبرع فى جميع العلوم نقليها وعقليها وتولى منصب فتوى الشافعية بالمدينة المنورة وسلك فى طريق القوم وكان على غاية من العمل والاستقامة وله كرامات كثيرة منها أنه دعى بغتة من مصلاة يوم الجمعة إلى مباشرة خطبة الجمعة وطلب منه أن يستسقى للناس فى خطبته وكانتّ سنة مجدبة فاستسقى فأمطرت السماء مطراً عظيما كأفواه القرب حتى سالت الأودية وأخصبت الأرض بعد جدبها واستمر المطر أسبوعا كما وقع ذلك للنبى ﷺ ( وامتدحه ) بعض الفضلاء بقوله :

سقى الفاروق بالعباس قدما  ونحن بجعفر غيثا سقينا

فذاك وسيلة لهم وهذا  وسيلتنا أمام العارفينا

( ومن كراماته ) أنه أخبر بيوم وفاته فكان كما قال توفى رضى الله عنه لأربع مضت من شعبان سنة ألف ومائة وسبع وسبعين بتقديم السين فيهما وعمره إحدى وخمسون سنة ودفن بالبقيع عند أرجل جداته بنات النبى ﷺ

( ورثاه ) الشيخ عبد القادر كدك بأبيات وقبل أن يختمها ويجعل لها تاريخا رأى السيد جعفر المذكور بعد وفاته بثلاث عشرة ليلة فقال له فيماذا تدور فقال :

فى جنة الفردوس يعلو منزلى

٥٤٣ ٣٨١ ١١٦ ١٣٧

سنة ١١٧٧

فانتبه الراتى فإذا هو شطر بيت فحسبه فإذا هو تاريخ بحساب التاء من جنة بأربعمائة وفى ذلك خلاف بين الأدباء فى أنها تحسب بأربعة أو بأربعمائة وإذا هو شطر على وزن القصيدة وقافيتها فجعله تاريخا لها وختم القصيدة به فكان من

كراماته أنه أرخ تاريخ وفاته بعد وفاته ( ومات ) السيد جعفر رحمه الله ولم يخلف غير بنت تزوجت بولد عمها زين بن محمد فولدت له السيد محمد الهادى وأعقب السيد محمد المذكور وابنه السيد العلامة زين العابدين صاحب المولد النظم والمعراج المشهورين اللذين أولهما بدأت باسم الذات عالية الشأن وافتتح تحبيرا برادا الأخبار المحمدية توفى مع جماعة من أهل المدينة بالسويس سنة ألف ومائتين وأربع عشرة مرجعهم من الأستانة العلية ودفنوا فى موضع واحدا وأعقب السيد زين العابدين ولده مولانا السيد إسماعيل وكان عالما فاضلا وكانت المدينة المنورة داره ووطنه كأبيه وجده ثم خرج منها مع جماعة من أهلها سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين عند تغلب الوهابى على الحجاز فساقته المقادير إلى بلاد الكرد من سواد العراق فاجتمع بواليها عبد الرحمن باشا وكان من أهل العلم والفضل وله محبة فى العلماء فأحب مولانا السيد إسماعيل وأكرمه وأمسكه مقيما عنده وزوجه ابنته عائشة وهى والدة ولده مولانا السيد جعفر وأخيه السيد أحمد وأخوته فاستمر مولانا السيد إسماعيل مقيما بتلك الأرض خمسا وأربعين سنة معظما محتشما وفى مدة غيبته كانت فتوى الشافعية بالمدينة المنورة عند بعض أبناء عمه وولد له أولاده ببلاد الكرد وهم مولانا السيد جعفر وإخوته وأخواته ( وفى سنة ) تسع وستين ومائتين وألف عزم مولانا السيد إسماعيل على التوجه إلى وطنه فتوجه فى شهر رجب من السنة المذكورة ووصل إلى مصر من طريق الشام وترك فى مصر ولده مولانا السيد جعفر القراءة العلم بالجامع الأزهر فأخذ عن كثير من علمائها المشهورين وتوجه والده إلى دار السلطنة العلية وامتدح مولانا السلطان عبد المجيد بقصيدة سنية فقلده منصب إفتاء الشافعية بالمدينة



النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتحية ثم رجع مولانا السيد إسماعيل إلى مصر وارتحل بأهله إلى المدينة المنورة ودخلها فى أوائل رجب سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف وجاء تاريخ عودة بيت شعر للفضل الشيخ عبد الجليل أفندى براده من قصيدة غراء مدح بها مولانا السيد إسماعيل المذكور مطلعها :

الدهر أقبل بالمسرة يسعد ولنا بانجاح المطالب ينجد

وقبل بيت التاريخ بيت ممهد لبيت التاريخ ونظمها هكذا :

ولطيبة مذعدت قلت مؤرخا فى بيت شعر بالمحاسن يفرد

قد عاد جارا للرسول محمد نجل نما والعود منه أحمد

سنة ١٢٧٧

ثم بعد مدة نزل عن منصب فتوى الشافعية لنجله الفاضل مولانا السيد جعفر فتقلدها سنة ألف ومائتين وثمان وسبعين قبل وفاة والده بنحو ثمانية أشهر وجاءه التأييد من دار السلطنة العلية وهو مستمر بها إلى هذا الوقت وأمين الفتوى له أخوه العالم الفاضل مولانا السيد أحمد بن مولانا السيد إسماعيل ولهم أخ ثالث وهو السيد عبد الكريم وكان لهم أخ رابع وهو السيد على توفى منذ سنين وتردد مولانا السيد جعفر إلى دار السلطنة العلية مرارا وقلد قضاء صنعاء خمس سنين آخرها شوال سنة اثنتين وثلاثمائة وألف ثم جاء إلى مكة بأهله ثم طلع إلى الطائف وهو الآن مقيم بأهله وقصده العود إلى المدينة بعد أداء المناسك بأهله وولده السيد إسماعيل والسيد محمد هاشم ( وله ) مؤلفات جليلة ( منها ) شرحه المسمى بالكوكب الأنور على عقد الجوهر فى مولد النبى الأزهر تأليف جده من جهة الأم مولانا السيد جعفر ( ومنها ) شواهد الغفران على جالى الأحزان فى فضائل رمضان لجده السيد محمد بن رسول السابق ذكره ( ومنها ) مصابيح الغرر على جالى الكدر للسيد على بن السيد حسن السابق ذكره (ومنها ) تاج

الابتهاج على ضوء الوهاج فى الإسراء والمعراج لجده السيد زين العابدين المتقدم ذكره .

( ومنها ) تاريخ عمارة المسجد النبوى التى أنشأها مولانا السلطان الغازى عبد المجيد خان وهو تاريخ جليل سماه نزهة الناظرين فى عمارة مسجد سيد الأولين والآخرين ( ومنها ) الروض الأعطر فى مناقب السيد جعفر وغير ذلك وبالجملة فأهل هذا البيت كلهم أهل علم وفضل وصلاح نفعنا الله بهم ووفقهم لكل خير وفلاح وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد الله رب العالمين ولله در القائل :

قفا بمطلع سعد عز ناديه ... وأمليا شرح شوقى فى مغانيه
واستقبلا مطلع الأنوار فى أفق ... السجون واحترسا ان تبهرا فيه
مغنى به وابل الرضوان منهمر ... ونائرات الهدى دلت مناديه
قفا فذا بلبل الأفراح من طرب ... يروى بديع المعانى فى أماليه
واستمليا الأحاديث العجائب عن ... بحر هناك بديع فى معانيه
حامى الذمار مجيرا لجار من كرمت ... منه السجايا فلم يغفر مباريه
عم النبى الذى لم يثنه حسد ... عن نصره فتغالى فى مراضيه
هو الذى لم يزل حصنا لحضرته ... موفقا الرسول الله يحميه
وكل خير ترجاه النبى له ... وهو الذى قط ماخابت أمانيه
قيامن أم العلا فى الخلدات غدا ... أغث للهفانه واسعف مناديه
قد خصك الله بالمختار تكلؤه ... وتستعز به فخرا وتطريه
عنيت بالحب فى طه ففزت به ... ومن ينل حب طه فهو يكفيه



كم شمت آيات صدق يستضاء بها ... وتملأ القلب إيمانا وتروية
من الذى فاز فى الماضين أجمعهم ... بمثل مافزت من طه وباريه
كفلت خير الورى فى يتمه شغفا ... وبت بالروح والأبناء تفديه
عضدته حين غادته عشيرته ... وكنت حائطة من بغى شانيه
نصرت من لم يشم الكون رائحة ... الوجود لو لم يقدر كونه فيه
إن الذى قمت فى تأييد شوكته ... هو الذى لم يكن شىء يساويه
إن الذى أنت قد أحببت طلعته ... حبيب من كل شىء فى أياديه
لله درك من قناص فرصته ... مذ شمت برق الأمانى من نواحيه
يهتيك فوزك أن قدمت منك يدا ... إلى ملىّ وفىّ فى جوازيه
من يسد أحسن معروف لأحسن من ... جازى ينل فوق مانالت أمانيه
ومن سعى لسعيد فى مطالبه ... فهو الحرى بات تحظى أمانيه
فيا سعيد المساعى فى متاجره ... قد جئت ربعك استهمى غواديه
مستمطرا منك مزن الخير معترفا ... بأن غرس المنى ينعى بصافيه
ومنك مستعطفا خير الأنام ومن ... تكن وسيلته فالفوز يأتيه
فيا نبى الهدى عطفا على دنف ... الشوق يدينه والأوزار تقصيه
الغوث ألغوث ياطه فخذ بيدى ... من ورطة النفس والشيطان والتيه
فقد أحاطت بضعفى وهى أسرتها ... إن الأسير لها صعب تنجيه
حتى انقضى العمر والهفا عليه ولم ... أحصل على طائل منه أرجيه
فليثنى حيث لم أغنم فريصته ... ما كنت أودعته ذنبا يغشيه

بل قد تجاوزت فى ظلمى فوا أسفا ... إذ لم أزل منه فى كرب أقاسيه

وقد تعلقت فى أذيال ساحتكم ... فما لها بد عن مثلى تنجيه

لم أذخرك لدنيا لإثبات لها ... بل للذى ليس لى من مفزع فى

ان امرأ أنت فى حشر ذخيرته ... لغير طامعة فيه عواديه

ها قد ذخرتك للعقبى تقوم بها ... وتمنح العبد إحسانا وتوليه

ووالديه وأشياخا وأخوته ... ونسله ومن الإيمان يحويه

( وقيل أيضا ):

إن القلوب لتبكى حين تسمع ما ... أبدى أبو طالب فى حق من عظما

فإن يكن أجمع الإعلام أن له ... نارا فلله كل الكون يفعل منا [1]

أما إذا اختلفوا فالرأى أن نردا ... مواردا يرتضيها عقل من سلماً

نتابع المثبتى الإيمان من زمر ... فى معظم الدين تابعناهم فكما [2]

وهم عدول خيار فى مقاصدهم ... فلا نقل إنهم لن يبلغوا عظما

لانزدر بهم أتدرى من همو فهمو ... هم عرى الدين قد أضحوا به زعما

هم السيوطى والسبكى مع نفر ... كعدة النقبا حفاظ أهل حما

وأهل كشف وشعرانيهم وكذا ... القرطبى والسحيمى والجميع كما [3]

---

(١) أى كما بناه.

(٢) أى كما تابعناهم فى المعظم تتابعهم فى هذا ا ه منه .

(٣) أى كما ترى فى الوثاقة اهـ منه.



( هذا السؤال رفع فى إمارة سيدنا ومولانا الشريف عبد المطلب )

( رحمه الله تعالى رحمة الأبرار سنة ١٢٩٩ )

( ماقولكم ) أيها العلماء الأعلام فى مصابيح الظلام قمع الله بكم طغام اللئام ولئام الطغام فيمن انتذب ممن يزعم أنه من طلبة العلم لهدم قبر أبى طالب عم النبى عليه أفضل الصلاة والسلام زاعما أنه من المناكر المجمع عليها فى بلد الله الحرام وكتب عرضا للحكام يدور به على العلماء وخلافهم من الأنام يحرضهم على أن يساعدوه على هدم قبر هذا الكافر بهذا اللفظ الشنيع ونحوه من الكلام غير مبال إلى ما يترتب على ذلك من بعث فتنة نائمة لعن الله من أيقظها فإن كثيرا من أهل السنة والجماعة من بنى هاشم وغيرهم يعتقدون نجاته تبعا لما جاء فى ذلك ولما نقله الجهابذة الفخام الحقيقون بأن يتخذوا حجة للخلق لدى الملك العلام وهم الإمام السبكى والإمام القرطبى والإمام الشعرانى رحمهم الله تعالى على الدوام إن الله أحيا أبا طالب وآمن بالمصطفى ومات مسلما قال الإمام المحقق السحيمى بعد نقله ذلك وهذا هو الذى أعتقده وألقى الله به فيكون هذا العذاب حصل له قبل إحيائه ويكون المراد بالقيامة قيامته وهى خروج روحه من جسده فيا هل ترى هؤلاء العلماء جهلوا ماورد فى حق أبى طالب من نصوص الشريعة فلم يسع هذا المنتدب المبغض السكوت تقلدا لقدحه فى ادعائه الإجماع الذى زعمه مع مافيه من أذية رسول الله ﷺ وآله ومحبيه وهل جهله بذلك يكون عذرا له فيما تطلبه مما ليس يعنيه وهل يجب على الحكام أيدهم الله تعالى زجر هذا المبغض بما يليق به ويكون زاجرا له ولغيره عن الحركات الباعثة للفتن وتنافر قلوب المسلمين فإن القائلين بنجاته أهل شوكة وشكيمة فى هذا البلد الأمين أفيدونا نصر الله بكم الإسلام وأنار بمصابيحكم حالك الظلام الحمد لله رب العالمين رب زدنى علما قال بعض المفسرين فى قوله تعالى قل لاأسئلكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى أى على تبليغ الرسالة أى أن تحفظوا قرابتى وتودونى وتصلوا رحمى

وذلك إنه لم يكن حى من قريش إلا وفيهم له ﷺ قرابة فكأنه يقول إن لم تؤمنوا بى فاحفظوا قرابتى فيكم ولاتؤذونى اهـ وقال تبارك وتعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا وفى شرح الشهاب لابن وحشى قال أبو الطاهر من أبغض أبا طالب فهو كافر بالله عز وجل وفى معروضات المفتى أبى السعود ( سؤال ) طالب علم ذكر عنده حديث نبوى فقال أكل أحاديث النبى ﷺ صدق ( فأجاب ) بأنه يكفر أولا بسبب الاستفهام الإنكارى وثانيا بالحاقه الشين بالنبى ﷺ در مختار إذا تكلم بكلمة الكفر ولم يدر أنها كفر قال بعضهم لايكون كفراً ويعذر بالجهل وقال بعضهم يصير كافرا بذلك تنقيح وقال فى المختارينبغى أن يحفظ اللسان عما يجب الاحتراز عنه لقوله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت وعنه ﷺ البلاء موكل بالمنطق اهـ وعليه فيلزم الولاة أيدهم الله تعالى أجراً مايستحقه على ماصدر منه مما يسد باب الجراءة ويزجر أهل الجراءة والفساد كما قال تعالى إنما جزاء الذين يحاربون الله وسوله إلى آخر الآية والله سبحانه وتعالى أعلم .



**( أمر بكتابته أحمد بن عبد الله ميرغني مفتي الأحناف**

**بمكة المشرفة كان الله لهما حامدا مصليا مسلما )**

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والسالكين نهجهم بعده اللهم أسألك هداية للصواب اعلم رحمك الله تعالى إن أبا طالب عم النبى ﷺ ادعى إناس أن أهل السنة والجماعة اتفقوا على عدم نجاته وتمسكوا فى ذلك بظواهر من الكتاب والسنة ودعواهم اتفاق أهل السنة على عدم نجاته دعوى غير صحيحة فقد وجد كثير من أهل السنة يقولون بنجاته منهم الإمام القرطبى والإمام السبكى والإمام الشعرانى كما ذكره السائل فى سؤاله فقد راجعت ماذكره فى شرح العلامة السحيمى على شرح الشيخ عبد السلام اللقانى على منظومة والده المسماة بجوهرة التوحيد فى بحث الشفاعة عند قول الناظم وواجب شفاعة المشفع فوجدته نقل عن القرطبى والسبكى والشعرانى أن الله أحيا أبا طالب وآمن بالمصطفى ﷺ ثم مات مسلما قال العلامة السحيمى وهذا الذى أعتقده وألقى الله عليه وذكر العلامة السحيمى قبيل قول الناظم ومنجز لمن أراد وعده إن ابن سعد وابن عساكر رويا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سأل رسول الله ﷺ ماترجو لأبى طالب قال كل الخير أرجو من ربى والإمام القرطبى والسبكى والشعرانى كل منهم من أكابر أهل السنة يحتج بقوله وكذا العلامة السحيمى فبطلت دعوى من ادعى إن أهل السنة متفقون على عدم نجاته وثبت أنه يوجد من أهل السنة من يقول بنجاته وحيث وجد الاختلاف فاللائق الاحتياط وأقل المراتب التفويض إلى الله تعالى والسكوت والتوقف وعدم الخوض فى ذلك والاقتصار على قدر الضرورة فى ذكر الأحاديث الواردة فيه مع غاية الأدب والخوف لأن الاحتياط من الورع فقد قال ﷺ دع مايريبك إلى مالايريبك وقال ﷺ أليس وقد قيل لما جاءه عقبة بن الحارث فقال يارسول الله تزوجت امرأة فجاءتنا امرأة سوداء فقالت قد أرضعتكما وهى كاذبة فقال ﷺ كيف تصنع بها

وقد زعمت أنها أرضعتكما دعها عنك أى طلقها فراجعت النبى ﷺ وقلت يارسول الله إنها امرأة سوداء أى فلا يقبل قولها فقال أليس وقد قيل فأرشده ﷺ إلى طريق الورع والاحتياط وإن لم تقبل شهادة تلك المرأة وحيث قال جماعة من أهل السنة بإحياء أبى طالب وإيمانه ونجاته فالاحتياط عدم التعرض له بتنقيص لأن التعرض له لاسيما إذا كان بأفحش العبارات يؤذى النبى ﷺ لأن أبا طالب ربى النبى ﷺ وكان يحبه ويذب عنه لما بعث ويؤذى أيضا أقاربه ﷺ الأحياء والأموات وقد قال تعالى قل لاأسئلكم عليه أجراً إلاالمودة فى القربى وقد أخرج الديلمى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال اشتد غضب الله على من آذانى فى قرابتى وروى الطبرانى والبيهقى أن بنت أبى لهب واسمها سبيعة وقيل درة قدمت المدينة مسلمة مهاجرة فقيل لها لاتغنى عنك هجرتك وأنت بنت حطب النار فتأذت من ذلك فذكرته للنبى ﷺ فاشتد غضبه ثم قام على المنبر فقال مانال أقوام يؤذوننى فى نسبى وذوى رحمى من آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى وأخرج ابن عساكر عن على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من آذى شعرة منى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى وروى الطبرانى والإمام أحمد والترمذى عن المغيرة ابن شعبة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال لاتؤذوا الأحياء بسب الأموات ولاشك أن النطق بقبيح القول فى حق أبى طالب والتشدق به فى مجالس الخاصة والعامة وسفهاء الناس يؤذى أولاد على رضى الله عنه الموجودين الآن بل ويؤذى أمواتهم فى قبورهم ويؤذى النبى ﷺ فقد قال الله تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وقال تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا وهذا هو ملحظ من قال بكفر مبغض أبى طالب لأن فيه إيذاء للنبى ﷺ وإيذاؤه ﷺ كفر يقتل فاعله إن لم يتب وعند المالكية يقتل فاعله إن لم يتب وعند المالكية يقتل وإن تاب وسأذكر لك نبذة من أخبار أبى طالب تعلم



بها محبته للنبى ﷺ وتعلم محبة النبى ﷺ له وأنه يؤذيه بغضه وتعلم بها أن ماذهب إليه القرطبى والسبكى والشعرانى والسحيمى له وجه وجيه ( فمن أخبار ) أبى طالب أنه ربى النبى ﷺ أحسن التربية وكان يقدمه فى البر على أولاده وشرح ذلك يطول ثم لما بعثه الله تعالى تعرض قريش لإيذائه ﷺ فمنعهم أبو طالب وقال لهم إن ابن أخى فى حمايتى فلم يستطيعوا أن يردوا حمايته فصار ﷺ يدعو الناس إلى الله جهراً فلما فشت دعوته ﷺ شق الأمر عليهم فاجتمعوا وجاءوا إلى أبى طالب بعمارة بن الوليد وقالوا له خذ هذا بدل محمد ويكون كالاين لك وأعطنا محمدا لنقتله فقال ما أنصفتمونى يامعشر قريش آخذ ابنكم أربيه وأعطيكم ابنى تقتلونه ثم قال :

| | |
|---|---|
| والله لن يصلوا إليك بجمعهم | حتى أوسد فى التراب دفينا |
| فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة | وأبشر بذاك وقرمنك عيونا |
| ودعوتنى وعلمت إنك ناصحى [1] | ولقد دعوت وكنت ثم أمينا |
| لولا الملامة أوحذار مسبة | لوجدتنى سمحا بذاك مبينا |

ولما تزوج النبى ﷺ خديجة بنت خويلد رضى الله عنها خطب أبو طالب وحضر أبو بكر ورؤساء مضر فقال أبو طالب فى خطبته الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسمعيل وضئضىء معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس

(١) كتب الشنوانى على شرح الفاكهى عند قول أبى طالب ودعوتنى وعلمت الخ مانصه هو مات كافرا وهو عم عم النبى ﷺ بخلاف أبويه ﷺ فانهما ماتا مؤمنين لكن نقل الشيخ البراوى عن الشيخ السجينى عن غيره أن الله أحيا أبا طالب وآمن به وأماته ثانيا مؤمنا ودخل الجنة وقال البراوى من كان يحب النبى ﷺ وآله وأصحابه وأتباعه فليعتقد ذلك ونقل ماتقدم من إحيائه وامانته ثانيا مسلما عن أربعة عشر صحابيا وهو من خصوصيات أبى طالب وهذا لاينافى الأخبار الواردة بموته كافرا لأنا نقول إنه مات ثم أحيى كما مر اهـ

ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لايوزن برجل الأرجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا فإن كان فى المال قل فإن المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله كذا وهو والله يعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم فلما أتم أبو طالب الخطبة تكلم ورقة ابن نوفل وهو ابن عم خديجة فقال الحمد الله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ماعددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل لذلك كله لاتنكر العشيرة فضلكم ولايرد أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا على معاشر قريش بأنى قد تزوجت خديجة بنت خويلد من محمد ابن عبد الله على كذا ثم سكت فقال أبو طالب قد أحببت أن يشركك عمها وهو عمر ابن أسد فقال عمها اشهدوا يامعشر قريش إنى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد فقبل النبى ﷺ النكاح فتأمل خطبة أبى طالب وذكره شأن النبى ﷺ وتفرسه فيه كل خير وكان ذلك قبل مبعث النبى ﷺ بخمس عشرة سنة وأخرج البيهقى عن أنس رضى الله عنه قال جاء أعرابى إلى النبى ﷺ وشكا الجدب والقحط وأنشد أبياتا فقام رسول الله ﷺ حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ودعا فما ردّ يديه حتى التقت السماء بأبراقها ثم بعد ذلك جاءوا يضجون من المطر خوف الغرق فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال لله درّ أبى طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال على رضى لله عنه وكرم الله وجهه كأنك تريد قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال ﷺ أجل وهذا البيت من قصيدة طويلة لأبى طالب قالها حين كان



يذب قريشا عن النبى ﷺ منها قوله :

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد وأحببته دأب المحب المواصل
فمن مثله فى الناس أىّ مؤمل إذ قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش يوالى إلها ليس عنه بغافل

ومنها قوله

وقد علموا أن ابننا لامكذب لدينا ولايعنى بقول الأباطل
وأصبح فينا أحمد فى أرومة تقص عنها سورة المتطاول
حديث بنفسى دونه حميته ودافعت عنه بالذى والكلا كل

والقصيدة طويلة وله أشعار كثيرة غيرها فى مدح النبى ﷺ ولما حضرت الوفاة أبا طالب جمع أشراف قريش وأوصاهم بوصية تدل على كمال محبته للنبى ﷺ ومعرفته صدقه فقال يامعشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدام الشجاع والواسع الباع واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا إلا أحرزتموه ولاشرفا إلا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب وانى أوصيكم بتعظيم هذه البنية يعنى الكعبة فإن فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة وصلوا أرحامكم فإن فى صلة الرحم منسأة أى فسحة فى الأجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم أجيبوا الداعى وأعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث

وأداء الأمانة فإن فيها محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وأوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاء بأمر قبله الحنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودوها خرابا وضعفاؤها أربابا وإذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها يامعشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة وفى رواية دونكم ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لايسلك أحد سبيله الأرشد ولايأخذ أحد بهديه لأسعد ولو كان لنفسى مدة ولأجلى تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهى وقال لهم مرة لن تزالوا بخير ماسمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فأطيعوه تشدوا فانظر واعتبر كيف وقع جميع ماقاله من باب الفراسة الصادقة وقد روى أبو طالب عن النبى ﷺ أحاديث منها ماذكره الحلبى فى سيرته فقال وروى أبو طالب عن النبى ﷺ فقال حدثنى محمد أن الله أمره بصلة الأرحام وأن يعبد الله وحده ولايعبد معه غيره وقال سمعت ابن أخى يقول اشكر ترزق واكفر تعذب ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبى ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع فيه فى حياة أبى طالب حتى أن بعض قريش نثرا القاب على رأسه الشريف ﷺ وكان ﷺ يقول مانالت منى قريش شيئا أكره حتى مات أبو طالب ولما رأى قريشا تهجموا على أذيته قال ياعم ما أسرع ماوجدت بعدك ومات هو وخديجة في عام واحد فكان ﷺ يسمى ذلك العام عام الحزن وإنما أمللت الكلام فى ذلك لتعلم محبة أبى طالب للنبى ﷺ ومحبة النبى ﷺ له واعلم أيضا أن ماقاله الأئمة الأعلام وهم الإمام القرطبى والسبكى والشعرانى والسحيمى من أن الله أحياه وآمن بالنبى ﷺ له وجه وجيه ولذلك قال السحيمى وهو الذى أعتقده وألقى الله به وأقول أيضا كما قاله انه هو الذى أعتقده وألقى الله



به وهكذا ينبغى لمن له محبة للنبى ﷺ وقرابته فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فيجب على ولاة الأمر ثبت الله بهم قواعد الدين اجراء التأديب اللازم بما يحصل به الزجر سد الذريعة وحسما للخوض فى مثل ذلك لما يترتب عليه من الفتن العظيمة والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أمر برقمه خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المرتجى من ربه الغفران أحمد بن زينى دحلان مفتى الشافعية بمكة المحمية غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين أجمعين آمين

وصلى اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم فى كل لمحه ونفس عدد ما وسعه علم الله